بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مشاركتي معكم كما هو معلوم في مدة أسبوع، قد رَأَيْتُ أَنْ يكون موضوع درسنا: **أَحَادِيثَ كِتَابِ التَّوْحِيدِ مِنَ «التَّجْرِيدِ الصَّرِيحِ»** لِـ «جَامِعِ الإِمَامِ البُخَارِيِّ»، «الجَامِعِ الصَّحِيحِ».

والارتباط بالحديث في الدروس له فيه الخير والبركة؛ فَإِنَّ أَصْلَ العلوم الشرعية القرآن والحديث، القرآن و الحديث هما اصل العلوم الشرعية ، فالارتباط بها في الدروس وبالتفسير يَحْصُلُ به الاِطِّلَاعُ على ما تَيَسَّرَ مِنَ الأحاديث والوقوف عليها، ثُمَّ الاطلاع على معانيها وفوائدها.

نسأل الله أَنْ يَمُنَّ علينا وعليكم بالمغفرة بالوفرة في الدين ، وَأَنْ يَفْتَحَ علينا وعليكم بِالفَهْمِ الفهم عن الله وَرَسُولِهِ. فَإِنَّ أَكْثَرَ ما يأتي الضَّلَالُ إما مِنَ الجهل الذي يَنْشَأُ عن الإِعْرَاضِ، أَوْ مِنْ سُوءِ الفَهْمِ الذي يَنْشَأُ عن اما عن سُوءِ القصد أو وأما عن الجهل أيضًا.

ومما يَذْكُرُه أهل العِلْمِ في شأن «الجَامِعِ الصَّحِيحِ» أنه أَصَحُّ الكتب المُصَنَّفَةِ في الحديث، بل يقولون: إنه أَصَحُّ كتاب بَعْدَ كتاب الله؛ لأنه اشْتَمَلَ على أَصَحِّ الأحاديث. وَإِنْ كان الصحيح ليس محصورًا في «صَحِيحِ البُخَارِيِّ» أو «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»، لكن «صَحِيحَ البُخَارِيِّ» قد تميز بانتقائه رحمه الله بانتقائه للأحاديث وعنايته العظيمة، وَأَطْبَقَ علماء هذا الشأن أطبقوا على ترجيحه بدرجةِ القبول والصحة، وهذا الحُكْمُ إنما يختص بالأحاديث المسندة يعني التي رواها بإسناده منه إلى الرسول ﷺ، لا الأحاديث المعلقة، المعلقة التي لم يرويها بأسانيدها منه إلى الرسول صلى الله عليه و سلم

وقد افْتَتَحَ كتابه رحمه الله بحديث النيات، وجعله كالمقدمة له، ثُمَّ بَوَّبَ بِبَدْءِ الوَحْيِ، وَأَتْبَعَ ذلك بكتاب الإيمان، والإيمان هو الأصل، وهو الإيمان بالله وكتبه ورسله وبما جاء عن الله ورسوله ﷺ؛ فالإيمان هو مناط السعادة في الدنيا والآخرة، أي الإيمان بالله وكتبه ورسله والعمل بشرائعه.

وَأَصْلُ الإيمان التوحيد الذي عليه مدار دعوة الرسلِ مِنْ أولهم إلى آخرهم، التوحيد ، توحيد الله عليه مدار دعوة الرسل ، وهذا التوحيد هو مضمون كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، هذه هي أعلى شُعَبِ الإيمان، وهي تتضمن وتقتضي جميع شُعَبِ الإيمان، ففيها إجمال الدِّينِ كله؛ لا اله إلا الله لأنها تتضمن الإيمان بأنه الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه، والكفر بكل ما يُعْبَدُ مِنْ دونه، وهذا الإيمان بِاللهِ؛ ولهذا جاء تفسيرها في قوله

تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ﴾[1]، فَثَمَّ الإقرار بتفرده تعالى بالإلهية. فسماه ايمانا ولا ريب انه اصل الايمان ، أَصْلُ الإيمان: الإيمان بالله، والإيمان بالله يتضمن الإيمان بتوحيده، وتفرده، وربوبيته، وإلهيته، وأسمائه وصفاته.

وقد خَتَمَ الإمام البخاري كتاب «الجَامِعِ الصَّحِيحِ» بكتاب التَّوْحِيدِ، فقال العلماء: إِنَّ في هذا إشارة إلى أَنَّ التوحيد هو أول الأمر وآخره، وفيه تنبيه إلى ما جاء في الحديث الصحيح: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ مِنَ الدُّنْيَا: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. دَخَلَ الجَنَّةَ»، أَوْ كما قال ﷺ[2].

كِتَابُ التَّوْحِيدِ

يقول البخاري: «كِتَابُ التَّوْحِيدِ». في بعض الروايات في الصحيح: «كِتَابُ التَّوْحِيدِ وَالرَّدِّ على الجَهْمِيَّةِ». ولا شك أَنَّ مما يتضمنه التوحيد -توحيد الأسماء والصفات- الرد على الجهمية، وقد ضَمَّنَ كتاب التوحيد أحاديث كثيرة فيها الرد على الجهمية المُعَطِّلَةِ للأسماء والصفات، والرد على مَنْ تبعهم في بعض باطلهم.

ومِنْ منهجِهِ رحمه الله أنّهُ يُضَمِّنُ الباب بعْض الآياتِ توْطِئَةً لِمَا يَذْكُرُهُ مِنَ الأحادِيثِ، وهذا مِمّا ينْفرِدُ بـه عـنْ منْهجِ الإمامِ مُسْلِمٍ رحِمهُما اللهُ، يقُولُ: «بَابُ: قَوْلِ اللهِ تَعَالَى». ثُمَّ يَذْكُرُ آيَةً أَوْ آيتيْنِ أَوْ ثلاثًا، وَيَذْكُرُ بعْض ما يُناسِبُها مِنَ الآثارِ أحْيانًا، ثُمَّ يذْكُرُ ما يَذْكُرُهُ مِنَ الأحاديث المُسْندةِ.

والعجِيبُ أَنَّ كِتاب التّوْحِيدِ في «الجَامِعِ الصَّحِيحِ» أحادِيثُـهُ تقْـرُبُ مِـنْ مِـائتيْ حـدِيثٍ، ولكِـنّ صـاحِب «التَّجْرِيدِ» الزُّبَيْدِيَّ لَمْ يَذْكُرْ في كِتابِ التّوْحِيدِ إِلّا عشْرة أَوْ أحد عشر حدِيثًا؛ لِأَنّ مِنْ منْهجِهِ حذْف المُكرّرِ كُلِّه، فما لَمْ يذْكُرْهُ مِنْ تِلْك الأحاديث الكثِيرةِ معْناهُ أنّها قدْ تقدّمتْ في أبْوابٍ سابِقةٍ، فالّذِي تحصّل لهُ على حسـبِ منْهجِـهِ هِي هذِهِ الأحادِيثُ.

وقد رأيت أَنْ أضع على كُلِّ حديث ما فيه مِنْ فوائد تسهيلًا للكلام عـلى هـذه الأحادِيـثِ؛ ليكـون التعليـق والكلام على هذه الفوائد المستنبطة مِنْ تلك الأحاديث، كما سلكت هذه الطريقة مثل هذا في «الأربعين النووية».

ومِنَ المقدمات أنّ التوحيد في اللغة يعْنِي: جمع الأشياء المتعددة، فتجْمعُ الأشـياء المتعـددة وتُوَحِّـدُهَا حتـى تُكَوِّنَ منها شيئًا واحدًا، وقد تكون هذه الأشياء في الحِسِّيَّاتِ وقد تكون في المعنويات، وَمِـنْ ذلـك جمـع المسـائل

(١) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٢)أخرجه أبو داود في كتاب الجنائز - باب في التلقين (٣١١٦). وصححه الألباني في «صحيح أبي داود».

الأشتات المختلفة في أبوابٍ تَجْمَعُهَا في بابٍ واحدٍ، فتُسمِّي هذا الجمع وهذا الضم توحيدًا، وحدناها كلها في بابٍ واحدٍ بعد أن كانت منتشرةً ومتفرقةً، فتجمع هذا المُتفرِّق وتجعله في مكانٍ واحدٍ أو في بابٍ واحدٍ.

ومن معاني التوحيد اعتقاد الشيء أنه واحدٌ، وهذا هو المناسب للتوحيد بالمعنى الشرعي، فالتوحيد في الشرع أرادوا به توحيد الله، أي الإيمان بأنه واحِدٌ أَحَدٌ، واحِدٌ بكل ما هو من خصائصه، ولهذا نترجم هذا المعنى فنقول: إنه واحدٌ في ربوبيته، وواحِدٌ في إلهيته، وواحِدٌ في أسمائه وصفاته؛ أي أنه مُتفرِّدٌ، فلا شريك له في ربوبيته ولا شريك له في إلهيته، ولا شبيه له في أسمائه وصفاته.

إذا التّوْحِيدُ نوْعانِ: توحيدٌ علميٌّ، وتوحيدٌ عمليٌّ.

١ – **التّوْحِيدُ العِلْمِيُّ**: هو الاعتقاد، أي اعتقاد تَفَرُّدِ الله، تَفَرُّدِ الرب في ربوبيته، وتفرُّدِهِ في إلهيته، وأسمائه وصفاته، فالإيمان أو الاعتقاد أنه واحدٌ في كل ذلك هو التوحيد، فتوحيد الله يشمل كل هذه المعاني.

وقد ضلت طوائف من الفلاسفة ومن تبعهم من الجهمية، والجهمية تبعٌ ومتأثرون بهم، وكذلك المعتزلة متأثرون بالفلاسفة، يفسرون الواحد أو الأحد بأنه الذي لا يتميز فيه شيءٌ عن شيءٍ، وبناءً على هذا يزعمون أن إثبات الصفات يلزم منه التعدد، وهذا ضلالٌ مبينٌ في العقل والشرع، وقد فعلوا ذلك غلوًّا في التوحيد، فآل بهم الغُلُوُّ في التوحيد إلى نفي وجود الله؛ لأن نفي جميع الصفات يستلزم نفي وجود الله؛ لأن ما لا تقوم به أي صفةٍ لا يكون موجودًا، كل موجودٍ متحقق الوجود لا بد أن تكون له صفاتٌ، فيُفسِّرُون الأحد بأنه الذي لا يتميز فيه شيءٌ عن شيءٍ، الذي لا تقوم به أي صفةٍ، ولا يكون أحدًا، وأعظم من خبر هؤلاء الأقوام وواجه شُبُهاتِهِمْ بِالردود العقلية والشرعية الإمام ابن تيمية كما لا يخفى، نفع الله به الأمة، وانتفع به أهل العِلْمِ وطلاب العِلْمِ.

فالمقصود أن التوحيد هو توحيد الله بأسمائه وصفاته.

٢ – **التّوْحِيدُ العمِلِيُّ**: **وهو** ثمرةٌ للتوحيد العلمي، وهو إِفْرادُ الله بالعبادة، وإخلاص الدين لله، فهذا ثمرةٌ.

ولذا تقرؤون من أهل العلم من يجعلون التوحيد ثلاثة أقسامٍ، ومنهم من يقول: إن التوحيد نوعان: التوحيد العلميُّ القوليُّ أو التوحيد الخبريُّ؛ بحسب نوع الكلام، أو التوحيد العمليُّ، توحيد الطلب أو القصد والعمل، أو توحيد العبادة. والبعض يقول: إن توحيد الربوبية توحيده بأفعاله، أي إفراده بأفعاله وأنه لا شريك له في أفعاله، وتوحيد العبادة هو توحيده في أفعال العباد؛ بأن تكون خالصةً له ولا يتوجه بشيءٍ منها إلا إليه سبحانه وتعالى.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلّى الله وسلّم وبارك على عبد الله ورسوله محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم عَلِّمْنَا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزِدْنا عِلْمًا وعملًا يا كريم، واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولشيخنا والحاضرين والمسلمين.

قال الإمام البخاري المؤلف رحمه الله تعالى:

كِتَابُ التَّوْحِيدِ

بَابُ مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتَهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

عَنْ عَائِشَةَ(١) رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَعَنْ أَبِيهَا(٢): أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِ فَيَخْتِمُ بِـ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟» قال فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ»(٣).

هذا الحديث تضمن قصةً، وهي أن النبي ﷺ بَعَثَ رَجُلًا في الغزو أميرًا على سَرِيَّةٍ، وكان مِنْ هدْيِهِ عليه الصلاة والسلام أنه يَبْعَثُ السَّرَايَا لجهاد الكفار. والسَّرِيَّةُ تكون جيشًا محدودًا، فهي عدد مِنَ الجنود، قد يكونون

---

(١) عائشة بنت أبي بكر الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين، زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأشهر نسائه، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة بسنتين، وهي بنت سبع، وابتنى بها بالمدينة وهي ابنة تسع، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أري عائشة في المنام في سرقة من حرير فقال: «إن يكن هذا من عند الله يمضه» فتزوجها بعد موت خديجة بثلاث سنين، ولم ينكح صلى الله عليه وسلم بكرًا غيرها، وتوفي عنها صلى الله عليه وسلم وهي بنت ثمان عشرة سنة وكان مكثها معه صلى الله عليه وسلم تسع سنين. قال الزهري: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل. توفيت سنة ثمان وخمسين، ودفنت بالبقيع. انظر: الاستيعاب (٢/ ١٠٨-١١٠) أسد الغابة (٣/ ٣٨٣-٣٨٥) الإصابة (٨/ ١٦-٢٠).

(٢) هو: عبد الله بن عثمان بن عامر القرشي التيمي أبو بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه في الغار كان اسمه عبد الكعبة فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وهو أول خليف في الإسلام فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة، وكان أبو بكر ولد بعد الفيل بثلاث سنين. (أسد الغابة: ١/ ٦٣٨).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد- باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم (٧٣٧٥)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين- باب فضل قراءة قل هو الله أحد (٨١٣).

خمسة، وقد يكونون عشرة، وقد يكونون أكثر من ذلك، وقد يكونون خمسين، والجيش إنما يكون بالعدد الكثير.

فكان الرسول عليه الصلاة والسلام يُؤَمِّرُ الأمراء على ما يبعثه من الجيوش والسرايا لجهاد الأعداء.

قَالَ: بَابُ مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتَهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

قُلْتُ: الدعوة إلى توحيد الله هي طريق الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[1]، والدعوة إلى التوحيد تكون بأمر الناس بعبادة الله وحده وإخلاص الدين له، وبالنهي عن الشرك؛ وهو اتخاذ الأنداد مع الله، وقد شَمَّرَ النبي ﷺ لذلك منذ أَنْزَلَ الله عليه: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾[2].

وقول البخاري: «بَابُ دُعَاءِ النَّبِيِّ أُمَّتَهُ». (أَيْ: أُمَّةَ الدَّعْوَةِ)، وهم جميع الناس، وأما أمة الإجابة فهم الذين شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، كما قال تعالى: ﴿الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾[3].

والدعوة إلى الله كما تعلمون تكون أولًا بالدعوة إلى توحيده، والشيخ محمد بن عبد الوهاب عقد ترجمةً: «بَابُ الدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ». والدعاء إلى التوحيد هو مِفْتَاحُ دعوة الرسل مِنْ أولهم إلى آخرهم، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾[4]، **وهي** سبيل الرسول ﷺ وسبيل أتباعه، ﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[5].

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مسائل ذلك الباب: وفيه التنبيه على الإخلاص؛ فإن كثيرًا مِمَّنْ يدعو في الظاهر إلى الله إنما يدعو إلى نفسه، كمن يدعو رياءً وسمعةً، فمن يدعو ويأمر وينهى غير مخلصٍ فإنه لم يدع إلى الله في الحقيقة؛ فالدعوة إلى الله إنما تكون مع الإخلاص، فالآمر الناهي المُعَلِّمُ الذي يدعو مخلصًا في ذلك هو الداعي إلى الله.

---

(١) سورة النحل: ٣٦.

(٢) سورة المدثر: ٢.

(٣) سورة هود: ١، ٢.

(٤) سورة النحل: ٣٦.

(٥) سورة يوسف: ١٠٨.

وكذلك قُولُ البُخَارِيُّ: «بَابُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتَهُ إلى التَّوْحِيدِ».

قلت: إن المراد بالأمة أُمَّةُ الدعوة، أما أُمَّةُ الإجابة هم الذين آمنوا وأظهروا الإسلام، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأما أُمَّةُ الدعوة فهي جميع الناس؛ لأنه ﷺ مَبْعُوثٌ إلى جميع البشر، فاليهود والنصارى وكل الأمم – كلها مِنْ أمته، أي أمة الدعوة، يعني الأمة التي تتوجه إليها دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام، فكلهم مدعوون إلى الإيمان به وبما جاء به، ولكن أكثر ما يرد في الأحاديث مِنْ ذكر الأمة هي أمة الإجابة، كقوله ﷺ: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ»(١). فالأمة هنا هي أمة الإجابة، ومما جاء في القرآن مرادًا به أمة الدعوة قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾(٢). هذا شاملٌ لكل الناس، والبشرية منذ عهد النبي وما بعده كلهم داخلون في أمة الدعوة، وكلهم مكلفون بالإيمان بالرسول ﷺ وبما جاء به، وكلهم مَدْعُوُّونَ كلهم مُكَلَّفُونَ، فلا يسع أحدًا الخروج عن شريعته عليه الصلاة والسلام، فلا طريق إلى الله إلا ما جاء به ﷺ مِنَ الهدى ودين الحق، وهذا هو الطريق إلى الله، فمن خرج عن هذا الطريق فَمَآلُهُ إلى النار.

قلت: من الأحاديث التي ذكرها المصنف في هذا الباب حديث عائشة رضي الله عنها، وهو يدل على فضل سورة الإخلاص، وقد تضمنت السورة الإخبار بأن الله أحدٌ صمدٌ، لا والد له ولا ولد، ولم يكن له كفوًا أحدٌ، وفي هذا الإخبار دعوةٌ إلى توحيد الله، وبهذا تظهر مناسبة الحديث للترجمة.

وهذا الحديث من الأحاديث الدالة على فضل سورة الإخلاص، ودلالته ظاهرةٌ؛ فإن الرسول عليه الصلاة والسلام أثنى على ذلك الرجل، فقال: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ»(٣)؛ لِحُبِّهِ هذه السورة وعنايته بها وختمه القراءة بها، فهو يدل على فضل هذه السورة، وقد جاء في فضلها أحاديث مصرحة بفضلها : «(قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»(٤)، وجاء ما يدل على استحباب قراءتها في مواضع، كما في ركعتي الفجر(١)، وكما في الوتر(٢)، وقراءتها في

---

(١) أخرجه البخاري تعليقًا في كتاب الأشربة- باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسمه بغير اسمه، ووصله أبو داود في كتاب اللباس- باب ما جاء في الخز (٤٠٣٩).

(٢) سورة الرعد: ٣٠.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن- باب فضل (قل هو الله أحد) (٥٠١٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

الصباح والمساء مع المعوذتين[٣].

وهي متضمنةٌ للتوحيد -التوحيد العلميِّ الاعتقاديِّ- فإنها قد دلت على أنه تعالى الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يُولَدْ ولم يكن له كفوًا أحدٌ، فتضمنت الإِخْبَارَ بصفة الرحمن، أنه أحدٌ لا شريك له ولا شَبِيهَ، وأنه الصمد الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها، ثُمَّ أكد ذلك بقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[٤]، وفي هذا النفي تأكيدٌ لكمال أَحَدِيَّتِهِ وَتَفَرُّدِهِ، وكمال صَمَدِيَّتِهِ.

وتظهر مناسبة ذِكْرِ هذا الحديث في باب الدعاء إلى التوحيد من ما اشتملت عليه هذه السورة، فهذه السورة مُتَضَمِّنَةٌ للدعوة إلى التوحيد؛ فإن الله يَأْمُرُ النبي أن يقول: هو الله أحدٌ. ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ (١) اللهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[٥]، فلا كُفْءَ له، ولا نِدَّ له، ولا سميَّ له، وبهذا تظهر مناسبة ذكر هذا الحديث للباب. «**بَابُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتَهُ إِلَى التَّوْحِيدِ**»: **فَمُنَاسَبَةُ ذَلِكَ لِلتَّرْجَمَةِ تَظْهَرُ مِنْ مَضْمُونِ السُّورَةِ، فَالسُّورَةُ تَضَمَّنَتِ الأَمْرَ بِالتَّوْحِيدِ، وَالإِيمَانَ بِالتَّوْحِيدِ، وَوَحْدَانِيَّتَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.**

وَفِي الحَدِيثِ فَوَائِدُ:

الأُولَى: بَعْثُ الإِمَامِ السَّرَايَا لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ.

وهذا من مُهِمَّاتِ ولي الأمر، وهو رفع راية الجهاد، وإرسال البعوث، وبعث السرايا والجيوش للجهاد في سبيل الله، ولذلك بعدما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وَأُذِنَ له ولأصحابه بالجهاد سير السرايا والجيوش، وغزا ﷺ عدة غزواتٍ بنفسه، فهذا من مسئوليَّات الإمام؛ بعث السرايا و الجيوش لجهاد الكفار لِنَشْرِ الإسلام، وَلِيَدْخُلَ مَنْ شاء الله مِنَ الناس في دين الله، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين – باب استحباب ركعتي سنة الفجر (٧٢٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي في باب ما جاء ما يقرأ في الوتر (٤٦٢)، وصححه الألباني في صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم (٢/ ٥٣٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب – باب ما يقول إذا أصبح (٥٠٨٢)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦٤٩) من حديث عبد الله بن خبيب رضي الله عنه.

(٤) سورة الإخلاص: ٣، ٤.

(٥) سورة الإخلاص: ١-٤.

صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[1].

فالمقصود من الجهاد في سبيل اللهَّ أن تكون كلمة الله هي العليا، وأعظم ذلك أن يَدْخُلَ مَنْ شاء الله في هذا الدين، ويخرج الناس مِنْ ظلمات الجهل والشرك والكفر إلى نور الإيمان والتوحيد والعمل الصالح.

الثَّانِيَةُ: مَشْرُوعِيَّةُ تَأْمِيرِ أَمِيرٍ عَلَى الجَيْشِ وَالسَّرِيَّةِ.

فلا تستوي الأمور إِلَّا بوضع إمارةٍ وقيادةٍ تُدَبِّرُ أمر السرية وأمر الجيش، فكان ﷺ يَبْعَثُ البعوث والسرايا، ومن سياسة بعث الجيوش والسرايا تَأْمِيرُ الأمراء الأَكِفَّاءِ الذين يُحْسِنُونَ إدارة الجماعة وسياسة الجماعة وتوجيههم إلى ما يُحَقِّقُ لهم وَيُمَكِّنُهُمْ من القيام بمهامهم.

الثَّالِثَةُ: فَضْلُ سُورَةِ الإِخْلَاصِ.

وهذا ظاهرٌ من الحديث؛ لقوله: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ»[2]. ومعناه: أن محبة هذه السورة من أسباب محبة الله لعبده.

الرَّابِعَةُ: وُجُوبُ الإِيمَانِ بِمَا تَضَمَّنَتْ.

يجب الإيمان بما تضمنته هذه السورة من أسماء الله وصفاته، وتنزيهه عن كل النقائص وعن الوالد والولد... إلى آخره، ويجب الإيمان بما تضمنته من الدلالات الإيمانية المتعلقة بشأن الربِّ سبحانه وتعالى، ووجوب الإيمان بما تضمنته من التوحيد ومن الأسماء، كما سيأتي بالتفصيل.

الخَامِسَةُ: أَنَّهَا كَلَامُ اللهِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿قُلْ﴾ ... إِلَى آخِرِهِ.

كثيرًا ما يأتي في القرآن أمر الله لنبيه ﷺ بأن يقول: ﴿قُلْ﴾، فكان يُبَلِّغُ القرآن على هذه الهيئة، وليس مجرد أن يُبَلِّغَ مقول القول، بل يُبَلِّغُ القول، ففي قوله: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[3] أن الرسول لم يقل للناس: هو اللهُ أَحَدٌ. بل تلا النص، يبَلِّغَ نص الكلام الذي أوحي به إليه؛ ففي تبليغ صيغة الأمر دلالةٌ على أن الرسول يُبَلِّغُ كلام الله، وأن هذا الكلام هو كلام الله، فَيُبَلِّغُهُ بِكَامِلِهِ، ونظائر هذا كثيرةٌ، منها: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾[4]، فالرسول عندما أراد أن

(١) سورة إبراهيم: ١.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) سورة الإخلاص: ١.

(٤) سورة الكافرون: ١.

يُبَلِّغَ لَمْ يَقُلْ: **يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ**. وإن كانت في غير مقام التلاوة يخاطب بها الكفار: (يَا أَيُّهَا الكُفَّارُ - يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ)، لكن في تَبْلِيغِ الوحي يُقْرَأُ النص المُنَزَّلُ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾(١)، ومنها: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾(٢).

ونظائر هذا في القرآن كثيرةٌ، فهو لا يُبَلِّغُ المَقُولَ، بل يُبَلِّغُ الكلامَ كله، القول وما يتعلق به، ففي هذا دِلَالَةٌ على أن القرآن كلام الله، وأن سورة الإخلاص هي من كلام الله.

السَّادِسَةُ: إِثْبَاتُ اسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى: (الأَحَدُ، وَالصَّمَدُ)، وَمَا دَلَّا عَلَيْهِ مِنَ الوَحْدَانِيَّةِ وَالصَّمَدِيَّةِ.

ومن فوائد هذه السورة وهي داخلةٌ في فوائد الحديث، فالحديث قد تَضَمَّنَ ذِكْرَ السورة و التَّنْوِيهِ بشأنها، فمن فوائد هذه السورة إثبات هذين الاسمين: (الأَحَدِ، وَالصَّمَدِ)، وإثبات ما دلَّا عليه.

وننبه على قاعدةٍ؛ وهي أن كل اسمٍ من أسماء الله متضمنٌ لمعنى ومتضمنٌ لصفةٍ.

ليس كما يقول المعتزلة: إنها أسماءٌ محضةٌ وأعلامٌ محضةٌ. بل هي أسماءٌ وصفاتٌ، ففيه إثبات هذين الاسمين، وإثبات ما دَلَّا عليه من أَحَدِيَّةِ الله، وكمال أَحَدِيَّتِهِ وَصَمَدِيَّتِهِ، ففيه إثبات الأَحَدِ الصَّمَدِ، وإثبات الأَحَدِيَّةِ وإثبات الصَّمَدِيَّةِ.

فأما الأَحَدُ فإنه يدل على وحدانيته سبحانه وتعالى كما تقدم؛ أي: أنه لا شريك له ولا شبيه ولا نِدَّ، ويؤكد ذلك قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾(٣).

وأما الصَّمَدُ فمن أشهر ما فُسِّرَ به أنه الذي تَصْمَدُ إليه الخلائق، وتتوجه إليه الخلائق في حوائجها، وجاء عن ابن عباسٍ أنه السَّيِّدُ الكامل في سُؤْدُدِهِ، والغني الكامل في غِنَاهُ، والحليم الكامل في حِلْمِهِ، والعليم الكامل في علمه.

فالمراد بالصَّمَدِ الكامل في جميع صفات الكمال.

السَّابِعَةُ: تَنْزِيهُهُ تَعَالَى عن الوَالِدِ وَالوَلَدِ وَالمِثْلِ.

وهذا مستفادٌ من الآيات الثلاث ، وتنزيهه تعالى مُسْتَفَادٌ من النَّفْيِ: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾، فهو تنزيهٌ له عن الولد. وفي هذا الرد على كل مَنْ نَسَبَ إليه الولد مِنَ اليهود والنصارى والمشركين. ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾، سبحانه وتعالى؛ لأنه الأول

(١) سورة الكافرون: ١.

(٢) سورة الجن: ١.

(٣) سورة الإخلاص: ٤.

الذي ليس قبله شيءٌ، ووجوده واجبٌ لا يجوز عليه الحُدُوثُ ولا العَدَمُ، بخلاف المَوْلُودِ، فَالمَوْلُودُ مُحْدَثٌ مخلوقٌ مِنْ والده.

فلما نَزَّهَ نفسه تعالى عن الولد الذي قال به كثيرٌ مِنْ أمم الكفر - نزه نفسه عن الوالد؛ لأن الاقتصار على نفي الولد قد يُوهِمُ قاصر العقل أن له والدًا، وليس كذلك لا، فهو تعالى مُنَزَّهٌ عن الوالد والولد، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾.

وبدأ بنفي الولد لأنه الواقع، ولم يَقُلْ أحدٌ بأن له والدًا، وهذا لِدَفْعِهِ ذلك التوهم الذي قد يَرِدُ على بعض عقول القاصرين.

وفيه تنزيه الله تعالى عن الكُفْءِ؛ أي المثل، كقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[1]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[2]، فـ(المِثْلُ، وَالكُفْءُ، وَالنِّدُّ) ألفاظٌ وأسماءٌ متقاربةٌ في المعنى، كلها تدل على التنزيه.

والإيمان بصفاته تعالى يقوم على أصلين: على إثبات ما أثبته الله لنفسه ورسوله، وتنزيهه عن كل نقصٍ وعيبٍ مما صرحت النصوص بنفيه أو لم تُصَرِّحْ، فالله تعالى مُنَزَّهٌ عن كل نقصٍ وعيبٍ.

وفي هذه السورة الرد على المعطلة ونُفاة الأسماء والصفات، والرد على المُشَبِّهَةِ، في قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[3]، والرد على طوائف الكفر الذين نسبوا إليه الولد.

الثَّامِنَةُ: جَوَازُ خَتْمِ القِرَاءَةِ فِي الصَّلَاةِ بِهَذِهِ السُّورَةِ، وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ السُّنَنِ الَّتِي يُحَافَظُ عَلَيْهَا.

فالرسول ﷺ أَقَرَّ الرجل في خَتْمِهِ القراءة في الصلاة بهذه السورة ولم يُنْكِرْ عليه؛ فدل هذا على جواز ختم القارئ في الصلاة -إِمَامًا أو مَأْمُومًا أو مُنْفَرِدًا- بهذه السورة فلا ضير عليه؛ لكن لا يتخذ هذا سنةً دائمةً، فإن الرسول لم يعرف أنه فعل ذلك ولا أصحابه، ولا يُعْرَفُ أنها سُنَّةٌ يُحَافَظُ عليها، لكن لو أن المسلم أحب أن يقرأ بِها، أو قرأها أحيانًا فلا يُنْكَرُ عليه؛ لأن الرسول أقره، لكنها ليست من السنن الثابتة التي يُحَافَظُ عليها.

التَّاسِعَةُ: جَوَازُ قِرَاءَةِ سُورَتَيْنِ فِي رَكْعَةٍ.

جواز قراءة سورتين في ركعة لأنه إذا كان يَخْتِمُ قراءته فمعناه أنه يقرأ سورةً ثُمَّ يقرأ بهذه السورة، فمعناه أنه قرأ في الركعة الواحدة سورتين؛ فيدل الحديث على جواز قراءة سورتين في الركعة الواحدة، وهذا قد ثبت مِنْ فعله

(١) سورة مريم: ٦٥.

(٢) سورة الشورى: ١١.

(٣) سورة الإخلاص: ٤.

عليه الصلاة والسلام في التطوع في قيام الليل، فقد قرأ في ليلةٍ: (البَقَرَةَ، وَالنِّسَاءَ، وَآلَ عِمْرَانَ)، وهذا مما لا خلاف فيه، وما جاز في النافلة جاز في الفريضة، لكن الغالب على هديه عليه الصلاة والسلام الاقتصار في الفرائض على سورةٍ واحدةٍ، لا أعلم أنه ربما قَرَأَ سورتين في ركعةٍ.

العَاشِرَةُ: فَضْلُ ذَلِكَ الرَّجُلِ وَإِنْ لَمْ يُسَمَّ.

نعم فقول الرسول له: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ»[1]. فهذا فضلٌ وإن كان مجهولًا لا نعرفه بعينه واسمه، فهذا يدل على أن له فضيلةً على غيره بهذا الشعور وبهذا التصور عن سورة الإخلاص.

الحَادِيَةَ عَشَرَ: فَضْلُ مَحَبَّةِ السُّوَرِ وَالآيَاتِ الَّتِي فِيهَا ذِكْرُ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ، وَأَنَّ جِنْسَهَا أَفْضَلُ مِنْ جِنْسِ غَيْرِهَا مِنْ آيِ القُرْآنِ وَسُوَرِهِ.

ومحبة القرآن مِنْ محبة الله، ومحبة القرآن كله من محبة العبد لربه، فمن أحبَّ أحدًا أحبَّ كلامه، ومن الإيمان محبة القرآن ومحبة الحديث؛ لأن ذلك مِنْ محبة الله ورسوله؛ ولكن القرآن مُتَفَاضِلٌ على الصحيح، وليس حكمه واحدًا في الفضل؛ بل القرآن يتفاضل، وهذه فائدةٌ لعلها لم تُذْكَرْ، وهي أن القرآن يتفاضل فسورة ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ فُضِّلَتْ على غيرها من سور القرآن، وجاء فيها: «إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ»[2]، وجاء فيها ما ورد في هذا الحديث من إِخْبَارِ الرجل بأن الله يُحِبُّهُ جزاءً على محبته لهذه السورة.

فالقرآن يتفاضل، وأفضل الآيات ما تضمن أسماء الله وصفاته،فالقرآن يتفاضل بحسب مضمونه، أي بحسب ما تضمنه، فللقرآن فضلٌ عامٌّ؛ وهو أنه كلام الله، فكله كلام الله، وهو بهذا الاعتبار حكمه واحدٌ وفضله واحدٌ، لكن باعتبار دلالاته ومعانيه يتفاضل، فما تضمن ذكر الله وذكر أسمائه وصفاته هو أفضل مِنْ غيره.

قارن بين سورة ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، وسورة (تَبَّتْ)، كثيرًا ما يذكرهما أهل العلم في المقارنة، سورة (تَبَّتْ) تضمنت وعيد أحد الأشقياء، وهو أبو لهب الشقي عَمُّ النبي ﷺ؛ فتضمنت الوعيد، وهي من كلام الله، ولكنها تختلف في مضمونها عن سورة ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾؛ فهذه تضمنت الوعيد لشقيٍّ مِنْ أشقياء العباد، ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) ما أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾[1]، وسورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ (١) اللهُ الصَّمَدُ﴾[2]؛ فأين هذا مِنْ هذا؟! فهذه تضمنت صفة الرحمن، وهذه تضمنت صفة شقيٍّ مِنْ أشقياء العباد وما أعدَّ الله له.

الثَّانِيَةَ عَشَرَ: إِثْبَاتُ صِفَةِ المَحَبَّةِ لله تَعَالَى.

سورة (تَبَّتْ) تضمنت ذِكْرَ شقيٍّ مِنْ أشقياء العباد وما أعدَّ الله له مِنْ عذابِ النكال، ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾[3]، أما ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ فقد تضمنت صفة الرحمن سبحانه وتعالى.

الثَّالِثَةَ عَشَرَ: السُّؤَالُ عَمَّا اشْتَبَهَ حُكْمُهُ مِنْ أَفْعَالِ النَّاسِ.

أصحاب ذلك الأمير استغربوا صَنِيعَهُ؛ لأنهُ غير معروفٍ وغير معتادٍ أن تُخْتَمَ القراءة في الصلاة بهذه السورة، فلما قدموا المدينة أخبروا النبي عليه الصلاة والسلام؛ ففيه مشروعية السؤال عما أشكل، فلم يستعجلوا بتخطئته والإنكار عليه، بل تثبتوا، وهذا هو المطلوب، فإذا أشكل على الإنسان مسألةٌ أو فعل بعض الناس أو تصرفٌ - فينبغي التثبت وسؤال أهل العلم؛ فهؤلاء لما رجعوا إلى المدينة أخبروا النبي عليه الصلَاة والسلام عن صنيعه، فأخبروه خبر سائلين مُسْتَشْكِلِينَ.

ويرتبط بهذه الفَائِدَةِ الفَائِدَةُ التي بعدها، وهي تَثَبُّتُ العَالِمِ وَاسْتِفْصَالُ العَالِمِ عما سُئِلَ عنه وعما أُخْبِرَ به، فالرسول لم يُجِبْهُمْ بشيءٍ، بل قال: «سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟»[4] ففي هذا تثبتٌ مِنَ السائل أولًا، ومِنَ المسئول ثانيًا، فهم تثبتوا ولم يستعجلوا في الإنكار والتخطئة، والرسول كذلك ﷺ تثبت فلم يُصَوِّبْهُ ولم يُخَطِّئْهُ، بل قال: «سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟».

الرَّابِعَةَ عَشَرَ: التَّثَبُّتُ فِي الأَمْرِ.

التثبت في الأمر مِنَ الرسول عليه الصلاة والسلام، وهذا هو شأن المفتي، عليه أن يَسْتَفْصِلَ عن الأمور المُشْكِلَةِ أو المُحْتَمِلَةِ، فلا يُجِيبُ على مجرد كلام السائل إذا كان كلامًا فيه احتمالٌ؛ ولهذا ذكر العلماء قاعدةً أصوليةً: [وَهِيَ أَنَّ تَرْكَ الِاسْتِفْصَالِ فِي مَقَامِ الِاحْتِمَالِ يُنَزَّلُ مَنْزِلَةَ العُمُومِ فِي المَقَالِ]؛ فالمفتي إذا سُئِلَ عن أمرٍ فيه احتمالٌ

---

(١) سورة المسد: ١-٥.

(٢) سورة الإخلاص: ١، ٢.

(٣) سورة المسد: ٣.

(٤) تقدم تخريجه.

والحكم يختلف بين حالٍ وحالٍ - فعليه أن يَسْتَفْصِلَ ويتثبت.

إِثْبَاتُ صِفَةِ المَحَبَّةِ لله تَعَالَى.

وهذا ظاهرٌ من قوله: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ». وأدلة ذلك مِنَ الكتاب والسنة كثيرةٌ، قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[1]، ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[2].

وأهل السنة والجماعة يُثْبِتُونَ لله صفة المحبة كما يُثْبِتُونَ له سائر الصفات، ويقولون: إن الله يُحِبُّ مَنْ شاء مِنْ عباده، وَيُحِبُّ بعض الأعمال. وهي محبةٌ حقيقيةٌ تليق به سبحانه وتعالى، وليست محبته كمحبة العباد بعضهم لبعضٍ، كما هو الشأن في سائر الأسماء والصفات المشتركة.

الخَامِسَةَ عَشَرَ: جَوَازُ إِطْلَاقِ لَفْظِ صِفَةِ الرَّحْمَنِ عَلَى هَذِهِ السُّورَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الآيَاتِ مِمَّا تَضَمَّنَتْ أَسْمَاءَ اللهِ وَصِفَاتِهِ، وَالرَّدُّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ ذلك كَابْنِ حَزْمٍ.

فالرجل قال: «إِنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا». والرسول أقره على قوله: «إِنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ». فَعُلِمَ أن لله أسماء وصفات، فتقول: هذه صفةٌ لله. فالعلم صفة الله، والرحمة صفة الله، وهذه الآيات تضمنت صفة الله وصفة الرحمن، وهذه السورة تضمنت صفة الرحمن.

وما عليه أهل السنة والجماعة يقولون: لا يُسَمَّى إِلَّا بما سَمَّى به نفسه، ولا يُوصَفُ إِلَّا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله. ولا يتحاشون ذِكْرَ الصفة، وإنكار مَنْ أنكر إطلاق اسم الصفة على الله هذا من الغلطُ، والمشهور في هذا لابن حزمٍ أنه يُثْبِتُ الأسماء ولكنه ينكر إطلاق اسم الصفة على صفاته سبحانه وتعالى، ومذهبه لم يتحرر عندي، لكن مذهبه كأنه قريبٌ مِنْ مذهب المعتزلة الذين يُثْبِتُونَ الأسماء ويجعلونها أعلامًا محضةً وينفون معانيها - وهي الصفات- فينفون الصفات؛ لكنهم لا ينكرون لفظ الصفة: إن الله يوصف بكذا، أو لا يوصف بكذا.

فقول الرجل: «إِنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا». أقره الرسول ﷺ على ذلك، حتى ولو لم يرد هذا الحديث فإن إخباره سبحانه وتعالى بما أخبر به مِنْ أسمائه وصفاته يدل على صحة هذا الإطلاق.

والشبهة عند ابن حزمٍ أنه لم يَرِدْ ذِكْرُ الصفة، إنما أكثر ما يَرِدُ: ﴿وَلله الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[3]، و «إِنَّ لله تِسْعَةً

(١) سورة المائدة: ٥٤.

(٢) سورة البقرة: ٢٢٢.

(٣) سورة الأعراف: ١٨٠.

وَتِسْعِينَ اسْمًا»[1]، ولم يَرِدْ لفظ الصفة في ألفاظ القرآن أو الحديث، اللهم إلا في هذا الحديث.

لكن كلمة الصفة معنى معقولٌ، فالعلم صفةٌ، والحياة صِفَةٌ، والقوة صِفَةٌ، صِفَةُ القوة، ما هي القوة؟ القوة صفة ضد الضعف، والرحمة ضد الغضب، ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾[2]، فله صفاتٌ سبحانه وتعالى.

فمذهب ابن حزمٍ مذهبٌ شاذٌّ على كل حالٍ، مُنَاقِضٌ لدلالة الشرع ودلالة الكلام، فإذا قال سبحانه وتعالى عن نفسه: ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[3] ففي هذه الآية نُثْبِتُ لله اسمين مِنْ أسمائه، ونُثْبِتُ له صفتين مِنْ صفاته: (السَّمْعُ، وَالبَصَرُ)، وقِسْ على هذا في سائر أسمائه، فكل اسمٍ مِنْ أسمائه مُتَضَمِّنٌ لصفةٍ مِنْ صفاته، والله اعلم.

***

الأَسْئِلَةُ

السُّؤَالُ: إنَّ العبادة لا تصح إلا بشرط المتابعة؛ فكيف فَعَلَ هذا الصحابي رضي الله عنه فِعْلًا لَمْ يفعله الرسول ﷺ؟

الـجَوَابُ: اجتهد فيه، وفعل بنفس الشُّبْهَةِ، فلاحظ أنها سورةٌ مشتملةٌ على صفة ربهِ؛ فقرأ بها، والحمد لله، ثُمَّ سُئِلَ الرسول عن ذلك فَأَقَرَّهُ.

السُّؤَالُ: كيف نَرُدُّ على مَنْ يَسْتَدِلُّ بِمِثْلِ هذا الحديث الوارد في سورة الإخلاص وحديث بِلَالٍ الوارد في ركعتي الوضوء، فَيَسْتَدِلُّ الـمُسْتَدِلُّ بِأَنَّ البدع منها ما هو حَسَنٌ ومنها ما هو سَيِّءٌ؛ لأننا لا يُمْكِنُ أَنْ نَصِفَ الصحابي بأنه قَبْلَ إقراره ﷺ لِفِعْلِهِ أَنَّ فِعْلَهُ كان بدعة؟

الـجَوَابُ: ليس مِنَ البدع ما هو حَسَنٌ؛ لقوله ﷺ: «وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا»[4]. ولو أخطأ الصحابي لا يلزم أن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار والشروط التي يتعارفها الناس بينهم وإذا قال مائة إلا واحدة أو ثنتين (٢٧٣٦) ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها (٢٦٧٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سورة الكهف: ٥٨.

(٣) سورة النساء: ٥٨.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة- باب تخفيف الصلاة والخطبة (٨٦٧)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

نقول: إنه مبتدع لكن نقول: أخطأ. فعل ما ظَنَّهُ مشروعًا أو ظَنَّهُ جائزًا فأخطأ.

لكن لَمَّا سُئِلَ عنها الرسول تبين أنه قد وُفِّقَ وأنه أصاب، وأنه قد فاز بهذا الوعد العظيم، أن الله يُحِبُّهُ لِمَحَبَّتِهِ لصفة ربه؛ فمن فعل بدعةً لا نسميه مُبْتَدِعًا، إنما نسميه مُخْطِئًا، ولكنه إذا أَصَرَّ واستمر وتبين أنه فعل ما لا أصل له، فنقول له: هذه بدعةٌ، وأنت مُبْتَدِعٌ بهذا.

السُّؤَالُ: هل صحيح أَنَّ مَنْ بَوَّبَ هذا الكتاب ليس الزُّبَيْدِيَّ؟

الـجَوَابُ: بعض النسخ ليس فيها تبويبٌ.

السُّؤَالُ: التِّيجَانِيَّةُ تَدَّعِي أَنَّ الرسول ﷺ عالم الغيب وأنه حاضر ناظر، وَيَسْتَدِلُّونَ بحديث: «إِنَّ أَعْمَالَ العِبَادِ تُعْرَضُ عَلَيْهِ ﷺ كُلَّ أُسْبُوعٍ»، ما صحة الحديث؟ وما معناه؟

الـجَوَابُ: لم يأت فيما أَعْلَمُ أن أعمال العباد تُعْرَضُ عليه، إنما صلاتهم تُعْرَضُ عليه، صلاتهم عليه تُعْرَضُ عليه، «فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ»[1]، وهذا يوافق قوله: «فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»[2]. أما أعمال العباد فهو لا يدري عنها شيئًا، وجاء في الحديث الصحيح: «إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»[3]، فهو لم يَدْرِ عن الذين ارتدوا، ولا يدري عما جرى على أمته عبر الزمن، فدعوى هؤلاء الضُّلَّالِ كذبٌ وافتراءٌ وتدليسٌ.

السُّؤَالُ: لو أَنَّ شخصًا يَصِلُ الرَّحِمَ فقط لِأَجْلِ أَنْ يطيل اللهُ عُمُرَهُ أو أَنْ يَزِيدَ في رزقه، ولا يُرِيدُ منها ثوابًا في الآخرة، فما حُكْمُ فعله؟

الـجَوَابُ: حكمه أنه عَمِلَ للدنيا، وما عَمِلَ لله.

السُّؤَالُ: ما هي السُّوَرُ التي يُسَنُّ قراءتها في الصلاة المفروضة؟

الـجَوَابُ: لا توجد سورٌ معينةٌ، اقرأْ ما يَسَّرَ الله لك، وَلَكِنَّ الغالب سور المُفَصَّلِ؛ لأنها السور القصيرة، ولا تقرأ كما قرأ معاذٌ في صلاة العشاء بسورة البقرة، أما يوم الجمعة في صلاة الجمعة فَيُشْرَعُ فيها قراءة: (سَبِّحْ، وَالغَاشِيَةِ، وَالجُمُعَةِ، وَالْمُنَافِقُونَ)، وفي فجرها سورة: (السَّجْدَةِ، وَسُورَةُ الإِنْسَانِ)، فهذه لها أحكامٌ خاصةٌ.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة- باب فضل يوم الجمعة (٨٥٤)، من حديث أبي هريرة .

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٦٧)، وأبو داود في كتاب المناسك- باب زيارة القبور (٢٠٤٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٢٢٦).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل- باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم (٢٢٩٥)، من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

السُّؤَالُ: أليس قراءة الطالب للمتن الذي سيشرحه فضيلتكم كما يُوجَدُ في بعض دروس المشايخ بطريقة التَّلْحِينِ مِنَ البِدَعِ؟

الجَوَابُ: لا، هذه صفةٌ، ما هي مِنَ البدع ولا من السنن، وهذه تختلف باختلاف طبائع الناس وما يُعْجِبُهُمْ مِنْ صفة الأداء، فليست بدعةً، فاقرأ حسب ما يحلو لك، أما إذا زعمت أن هذه سُنَّةٌ تتعبد لله بهذه الصيغة، فلا.

السُّؤَالُ: هل يجوز الاجتهاد في مسائل الاعتقاد والتوحيد؟

الجَوَابُ: ليس في مسائل الاعتقاد اجتهادٌ، مسائلُ الاعتقاد يجب فيها الوقوف مع النصوص.

السُّؤَالُ: وَهَلِ المخالف له أجر واحد للمخالفة؟

الجَوَابُ: من طلب الحق واجتهد في ذلك وأخطأه فالله يَأْجُرُهُ، وطالب الحق المخلص في ذلك إذا اجتهد وأخطأ فالله يَأْجُرُهُ على ذلك، ولكن الحذر مِنْ أتباع الهوى والتَّعَصُّبِ والتقليد الأعمى.

السُّؤَالُ: ما حُكْمُ سماع الأناشيد التي تُسَمَّى إسلامية؟

الجَوَابُ: هذه الأناشيد هي نوعٌ مِنَ الأغاني.

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبد الله ورسوله محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالَمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال المؤلف وفقه الله: الحديث الثاني عن أبي موسى الأَشْعَرِيِّ[1] رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ، يَدَّعُونَ لَهُ الوَلَدَ، ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»[2].

قَالَ الشَّارِحُ:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، في الحديث يخبر النبي ﷺ عن ربه بأنه أَصْبَرُ مِنْ كُلِّ صابر على ما يسمعه مِنَ الأذى، لا إله إلا الله، (مَا أَحَدٌ)، أحد، نكرة في سياق نفي فتعم، (مَا أَحَدٌ) وفي بعض الألفاظ لا أحد يَدْخُلُ في سياق: ما أحد أَصْبَرُ مِنَ الله، (مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ)، عندنا (أَصْبَرَ): أَفْعَل تفضيل، والمفضل: (مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ)، ففي هذا نفي أَنْ يكون أحد أَصْبَرُ مِنَ الله على الأذى الذي يسمعه، كل ما يحصل للخلق فهو قَدْرٌ مِنَ الأذى، قَدْرٌ مِنَ الأذى، لكن الله سبحانه وتعالى يسمع أمرا عظيما مِنَ الأقوال التي تؤذيه؛ فقد سمع الله قول الذين قالوا: إِنَّ الله فقير. قالت اليهود: عُزَيْرٌ ابن الله. قالت النصارى: المسيح ابْنُ الله. قال المشركون: الملائكةُ بنات الله. كُلُّ هذه تؤذيه، وما يكون مِنَ الخَلْق مِنَ استهزاء به وبآياته وبرسله، ﴿قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ﴾[3]، كُلُّ هذا الاستهزاء يؤذيه سبحانه وتَعالى، وما يكون مِنْ أقوال المشركين في دعائهم بمعبوداتهم، كُلُّ هذه تؤذيه، فالأقوال والأفعال التي تصدر مِنَ العباد مما يؤذيه سبحانه وتعالى -يَعْنِي- أمر واسع وكثير، وبهذا نتصور هذا العموم.

(مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ) يعني: الله أَصْبَرُ مِنْ كُلِّ شيء على الأذى الذي يسمعه، أَصْبَرُ مِنْ كُلِّ

---

(١) هو: عبد الله بن قيس بن سَليم بن حُضَّار بن حرب بن عامر، أبو موسى، الأشعري. قدم مكة فأسلم. استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على بعض اليمن، كزبيد وعدن وأعمالها، واستعمله عمر على البصرة بعد المغيرة، فافتتح الأهواز ثم أصبهان، ثم استعمله عثمان على الكوفة، ثم كان أحد الحكمين بصفين، ثم اعتزل الفريقين. مات سنة أربع وأربعين. انظر: الاستيعاب (١/ ٣٠٠)، أسد الغابة (٢/ ١٦٣)، الإصابة (٤/ ٢١١-٢١٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد- باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ﴾ (٧٣٧٨)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار- باب لا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى مِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ (٢٨٠٤).

(٣) سورة التوبة: ٦٥.

صابر على الأذى، ويظهر صبره سبحانه بحِلْمه.

(ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ): فلوْلا حِلْمُهُ وكرمه وصبره - لوْلا ذلك لأهلكهم وأهلك كُلَّ أحد، لكنه يعافيهم ويرزقهم ويمهلهم، والصبر كما أنه صفة له كما سيأتي فهو تعالى يحب مِنْ عباده الصبر، يحب مِنْ عباده أَنْ يصبروا على ما يؤذيهم وعلى ما يلحقهم مِنْ أذى، وأَعْظَمُ الناس صبرا هم الرسل ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ﴾[1] يؤذيهم أقوامهم بالأقوال والأفعال ومع ذلك يصبرون، يصبرون عليهم ويحلمون، هذا نوح عليه السلام ألف سنة إلا خمسين عامًا وهو يدعو قومه ويتلطف ويدعوهم بشتَّى أنواع طُرُق الدعوة كما في سورة نوح، وفي آخر الأمر و هو يصنع الفُلْك فيمر به مِنَ الملأ ويسخرون منه، ﴿**ويصنع الفُلْك وكلما مَرَّ عليه ملأ مِنَ قومه سخروا** منه قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾[2]؛ ولهذا الله يأمر نبيَّهُ بأن يتأسى بمن سلف مِنَ الرسل ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً﴾[3] فَاصبِر، في آخر -يعني- بعد قيام دولة الإسلام وانتشار الإسلام في المدينة يأتيه ذاك الرجل ويقول: (يَا مُحَمَّدُ، اعْدِلْ فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ، إِنَّ هَذِهِ قِسْمَةٌ لَا نَرْضَى بِهَا يَا رَسُولَ الله). فيحلم الرسول ويتذكر الأُسْوَةَ في موسى، ويقول: «لَقَدْ أُوذِيَ مُوسَى بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»[4].

فهو يعمل بقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل﴾ فالله أَصْبَرُ مِنْ كُلِّ صابر، أَصْبَرُ على أولئك المكذبين، أَصْبَرُ مِنَ الرسل الذين هُمْ أَصْبَرُ الناس على أذى الناس، والأذى الذي أُلْحِقَ بهذه الرسل أُلْحِقَ بكل واحد قَدْرٌ في وقته ومِنْ قومه، وكُلُّ ما يؤذى وما أُوذِيَ به الرسل فيه أَذًى لله سبحانه وتعالى، وانتقامه تعالى مِنَ المكذبين بعد الإمهال الطويل لا ينافي صبره سبحانه وتعالى؛ فالصبر له منتهى، «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ». فيُمْلِي للمكذبين حتى يَبْلُغَ الأمر مداه ومنتهاه ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ

---

(١) سورة الأنعام: ٣٤.

(٢) سورة هود: ٣٨.

(٣) سورة الأحقاف: ٣٥.

(٤) بلفظ: «رَحِمَ اللهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ» أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس- باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم (٣١٥٠)، ومسلم في كتاب الزكاة- باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام (١٠٦٢)، من حديث عبد الله بن مسعود.

أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ القَوْمِ المُجْرِمِينَ﴾[1].

قَالَ الشَّارِحُ: هذا الحديث أصل في وصف الله بالصبر، وأنه تعالى أَصْبَرُ مِنْ كُلِّ صابر على أذى، وقد ذَكَرَ البخاري رحمه الله هذا الحديث في **بَابِ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى**: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ﴾[2]، وهذا من البخاري يدل على أنه يرى أَنَّ صبره كان راجع إلى قوَّته سبحانه.

هذا الحديث دليل، هو الدليل على وصف الله بالصبر؛ يعني: مِمَّا يطلق عليه الأصل، الدليل، أصل هذه المادة، قوله تعالى، أصل هذه المادة الحديث، فالأصل في وصف الله بالصبر هذا الحديث وما في معناه، وهو يدلك على أنه تعالى أَصْبَرُ مِنْ كُلِّ صابر (**مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ**) تعالى.

والبخاري رحمه الله ذكر هذا الحديث في ترجمة للآية الكريمة مِنْ سورة الذاريات: باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ﴾، فالسؤال الوارد –الحديث– ما مناسبة الحديث للترجمة أو للآية؟! المناسبة ظاهرة وهو أَنَّ صَبْرَهُ تعالى راجع إلى كمال قُوَّتِهِ؛ فإِنَّ القوة ضدها الضعف، وقلة الصبر تنتج عن الضعف، وقوة التحمل والصبر راجع إلى القوة؛ فبهذا تظهر المناسبة، ويظهر أيضا دقة فَهْمِ الإمام البخاري رحمه الله للقرآن وللسُّنَّةِ، وهذا أمر معروف، البخاري في «صَحِيحِهِ» والإشارات التي تتضمنها تراجم الجامع الصحيح، و فيه فوائد.

قال: وبِهذا تظهر المناسبة بَيْنَ الحديث والآية، ويشهد لهذا الحديث ما رواه البخاري أيضا عن أبي هريرة[3] رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَشْتُمُنِي ابْنُ آدَمَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْتُمَنِي، وَيُكَذِّبُنِي وَمَا يَنْبَغِي لَهُ، أَمَّا شَتْمُهُ فَقَوْلُهُ: إِنَّ لِي وَلَدًا. وَأَمَّا تَكْذِيبُهُ فَقَوْلُهُ: لَيْسَ يُعِيدُنِي كَمَا بَدَأَنِي**»[4].

هذا مِمَّا يصدر مِنَ العباد وهو يؤذي الرب سبحانه وتعالى، الله في هذا الحديث القدسي يقول: (**يَشْتُمُنِي ابْنُ آدَمَ**) يعني: يسبُّه وما ينبغي له ذَلك، لا ينبغي للعبد أَنْ يشتم ربه ويسبُّه وينسب إليه ما لا يليق به.

---

(١) سورة يوسف: ١١٠.

(٢) سورة الذاريات: ٥٨.

(٣) هو: عبد الرحمن بن صخر الدوسي، الملقب بأبي هريرة: صحابي، كان أكثر الصحابة حفظًا للحديث وروايةً له. نشأ يتيمًا ضعيفًا في الجاهلية، وقدم المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر، فأسلم سنة ٧ هـ، ولزم صحبة النبي، فروى عنه ٥٣٧٤ حديثًا، وولي إمرة المدينة مدة. وكان أكثر مقامه في المدينة وتوفي فيها سنة ٥٩هـ. (تهذيب الكمال: ٣٤/ ٣٦٦).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق– باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (٣١٩٣).

(**وَيُكَذِّبُنِي**) ابن آدم (**وَمَا يَنْبَغِي لَهُ**) أَنْ يكَذبني، ثُمَّ فسر ذَلك بِأن شتمه أَنْ جعل له ولدا وليس له ولد، زعَمَ أَنَّ لله ولدا، وتكذيبه في تكذيبه بالبعث وزَعْمِ المكَذبين أَنَّ الله لا يعيد وهذا وهذا، وهذا كله مِمَّا يؤذي الله سبحانه وتَعالى، فيؤذيه شَتْمُ الشاتمين وتكذيب المكذبين، هذا الحديث متناسب مع حديثنا.

وَفِي الحَدِيثِ فَوَائِدُ، مِنْهَا:

الأُولَى[1]: **أَنَّ نِسْبَةَ الوَلَدِ إِلَى اللهِ مِمَّا يُؤْذِي اللهَ.**

هذا واضح، واضح من الحديث أَنَّ نسبة الولد –و قد صدر من أمم كبيرة مِنَ اليهود والنصارى والمشركين– وهذا مِمَّا يؤذيه سبحانه، وكُلُّ قوْل باطل –كما تقدمت الإشارة– كُلُّ قوْل يكرهه سبحانه وتعالى ويبغضه فإنه يؤذيه، كالاستهزاء بآياته ورسله والتكذيب بآيات و التكذيب بِمَّا أُخْبِرَتْ به الرسل، كُلُّ هذا يؤذيه سبحانه وتعالى.

الثَّانِيَةُ: وُجُوبُ تَنْزِيهِ اللهِ عَنِ الوَلَدِ، وَقَدْ نَزَّهَ اللهُ نَفْسَهُ عَنْ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ كَمَا فِي سُورَةِ الإِخْلَاصِ وَغَيْرِهَا، وَرَدَّ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالمُشْرِكِينَ.

على كُلِّ حال الحديث يدل على وجوب تَنزيه الله تعالَى عن الولد، والأدلة على هذا –على تنزيه الله تعالى عن الولد– ووجوب ذلك ورد بآيات كثيرة الآيات والأحاديث، سورة الإخلاص في القرآن ﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾[2]، ﴿سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾[3]، ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾[4]، فنسبة الولد إليه أمر عظيم تكاد السماوات يتفطرن منه لأنه أمر عظيم، ﴿وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ فكيف بمن يتنقصه؟! أعظم مِنْ ذلك.

نسبة الولد لله تعالى تتضمن تشبيه الله تعالى بخلقه وتشبيه المخلوق به؛ فكيف بمَنْ ينكر وجوده وينسبه إلى

---

(١) قال القارئ: أَوَّلًا، وبدَّلناها إلى [**الأُولَى**:] لتتناسب مع الفوائد التي تليها.

(٢) سورة المؤمنون: ٩١.

(٣) سورة النساء: ١٧١.

(٤) سورة مريم: ٨٨–٩٣.

أنواع النقصِ ويسخر منه؟! هذا أعظم مِنْ نسبة الولد، إذا كان هذا شأن نسبة الولد وأنه أمر عظيم ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبَالُ هَدًّا﴾ فما ظنك بما هو أقدح وأفظع؟!

الثَّالِثَةُ: وَصْفُهُ تَعَالَى بِالصَّبْرِ عَلَى الأَذَى.

هذا أصل الموضوع، وصفه تعالى بالصبر على الأذى (**مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ**).

الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ لَا أَحَدَ أَصْبَرُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَأَمَّا الصَّبُورُ فَمِنَ العُلَمَاءِ مَنْ يُثْبِتُهُ اسْمًا للهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُثْبِتُهُ، وَقَدْ ذُكِرَ فِي رِوَايَةِ سَرْدِ الأَسْمَاءِ الحُسْنَى عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ، وَالرَّاجِحُ عِنْدَ المُحَقِّقِينَ أَنَّ سَرْدَ الأَسْمَاءِ التِّسْعَةِ وَالتِّسْعِينَ لَيْسَ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ؛ بَلْ مِنْ جَمْعِ بَعْضِ الرُّوَاةِ.

لا إله إلا الله!! هذه الفائدة مضمونها أَنَّ هذا الحديث يدل علَى أنه تعالى أصبر مِنْ كُلِّ صابر، وأَنَّ لا أحد مِنَ الخلق يكون أَصْبَرَ منه سبحانه وتعالى، لا أحد أَصْبَرُ، فجاء الحديث على إثبات صفة الصبر له ونفي الأفضلية أو نفي كمال الصبر أو أَنْ يكون أَصْبَرَ مِنَ الله عن كُلِّ أحد، (**مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ**).

وبهذه المناسبة ذُكِرَ في الكلام اسم الصبور، هل الصبور مِنْ أسماء الله؟ لم يثبت عن الرسول ﷺ أَنَّ مِنْ أسمائه الصبور؛ لذا ما ثبت: الأَول والآخر الظاهر والباطن وغير ذَلك، وقد ورد في رواية الأسماء الحسنى، وسمعتم وعلمتم أنها لَمْ تَثبت عن النبي ﷺ، الثابت عنه ذُكْرُ الأسماء إجمالا: «**إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا؛ مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**»(١)، ثُمَّ بعض الرواة جمع تسعة وتسعين وسَردها وأدرج سَرْدها مع رواية العزيز؛ فظن مَنْ ظن أَنَّها مِنَ الحديث وأنَّها مِنْ كلام الرسول عليه الصلاة والسلام، وابن القَيِّم رحمه الله قال في النُّونِيَّةِ: وَهُوَ الصَّبُورُ عَلَى أَعْدَائِهِ. وهو الصبور، لكنْ فرق بين الخبر وبين التسمية فيصح أَنْ نقول: إِنَّ الله صبور، نعم صبور؛ لأنه أَصْبَرُ مِنْ كُلِّ صَابِرٍ، لَكِنْ هل هو اسم يدعى به ويُقَالُ: يا صبور؟! ولله الأسماء الحسنَى فادعوه بها، نقول: وهو الصبور على أذى أعدائه، شتموه؛ بل وصفوه بالنقصان، قالوا: له ولَد. شتما وتكذيبا مِنَ الإنسان؛ يَعْنِي نظم مَعْنَى الحديث.

الخَامِسَةُ: الفَرْقُ بَيْنَ الأَذَى وَالضَّرَرِ فِي حَقِّهِ تَعَالَى؛ فَلَا شَيْءَ مِنْ أَفْعَالِ العِبَادِ يَضُرُّهُ وَإِنْ كَانَ مِنْهَا مَا يُؤْذِيهِ؛

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشروط- باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار والشروط التي يتعارفها الناس بينهم وإذا قال مائة إلا واحدة أو ثنتين (٢٧٣٦).

وَلِهَذَا نَفَى اللهُ عَنْ نَفْسِهِ الضَّرَرَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللهَ شَيْئًا﴾[1].

هذه فائدة مهمة، وهو: الفرق بَيْنَ الأذى والضرر، فهو سبحانه وتعالى يُنْسَب إليه أنه يؤذيه بعض أقوال وأفعال العباد، يؤذيه ابن آدم: يَسُبُّ الدَّهر، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾[2] فأضاف الأذى إليه وإلى ورسوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا (٥٧) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[3] أمَّا الضرر فلا يضاف إلى الله ولا يلحقه، لا يلحقه تعالى ضرر مِنْ أفعال الناس وأقوالهم، ﴿لَن يَضُرُّواْ اللهَ شَيْئًا﴾، وقال سبحانه: «يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي»[4]، فالضرر منتف عن الله لا يلحقه مِمَّا يقوله الناس ومِما يفعله الناس، لَكِنَّ الأذى لا؛ لأنَّ الأذى غاية الأمر أنه يعني يتضمن يتضمن فعْلَ الكراهة، الله تعالى يحب، يبغض، ويرضى ويسخط ويكره، فيكره فما يفعله العباد مما يكرهه ويسخطه؛ فأنه يؤذيه، أَمَّا الضرر فلا يلحقه سبحانه وتعالى، فيجب الفرق في ذلك، والأذى في واقع الناس لا يهتمُّ به العقل والرزانة والصبر، لا يبالون بمن يؤذيهم بالسخرية والسبِّ، لا يعبأون به، ولا يلتفتون إليه، وإِنْ كانوا يكرهون ذلك، ولا يضرهم؛ يعني الأذى لا يستلزم الضرر، ولكِنْ يمكن أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الضرر يستلزم الأذى. الأمر الذي يضرُّ يؤذي، أَمَّا الأذى فلا يستلزم الضرر، يجب الفرق في ذلك في حق الله، وهو أيضا ثابت -الفرق بَيْنَ الأذى والضرر- في حال العباد وما يجري عليه في هذا الوجود.

ولهذا فقد نفَى الله عن نفسه الضرر، فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللهَ شَيْئًا﴾، وفي الحديث القدسيِّ: «يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي». وأمَّا الأذى فقد جاءت إضافته إلى الله في الكتاب والسُّنَّة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾، وفي السُّنَّة، قال النبي ﷺ: «قَالَ اللهُ عزوجل: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ»[5].

---

(١) سورة آل عمران: ١٧٦.

(٢) سورة الأحزاب: ٥٧.

(٣) سورة الأحزاب: ٥٧، ٥٨.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب- باب تحريم الظلم (٢٥٧٧)، من حديث أبي ذر.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن- باب ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ (٤٨٢٦)، ومسلم في كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها- باب النهي عن سب الدهر (٢٢٤٦).

السَّادِسَةُ: أَنَّ مِنْ آثَارِ صَبْرِهِ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ يُعَافِي الذين يَشْتُمُونَهُ بِنِسْبَةِ الوَلَدِ إِلَيْهِ وَيَرْزُقُهُمْ.

نَعَمْ، مِنْ آثار الصبر الحِلْم، مِنْ آثار صبره علَى مَنْ يؤذيه بالشتم والتكذيب، مِنْ آثار صبرِه حِلْمِهِ أيضا، وكمال صبره يُحْلَمُ عليه، فلا يعاجلهم بالعقاب، بل يعافيهم ويرزقهم، فهذا مِنْ موجبات صبره -حِلْمُهُ- إذن حِلْمُهُ تعالى راجع إلى كمال صبره.

السَّابِعَةُ: أَنَّ النِّعَمَ الدُّنْيَوِيَّةَ مِنَ اللهِ عَامَّةٌ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ الأَبْرَارِ وَالفُجَّارِ.

نَعَمْ، نعمه سبحانه وتعالى الدنيوية مِنَ الرزق بأنواعه كمطعم ومشرب وملبس ومسكن، وكذلك العافية والصحة – هذه نِعَمٌ مشتركة بَيْنَ الأبرار والفجَّار، بَيْنَ المؤمنين والفجَّار، بَيْنَ جميع الناس، فيقول: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾[1]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾[2]، ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾[3] والخطاب للناس: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾[4].

فالله هو الرزاق، كُلُّ ما يحصل للعباد مِنْ رزق فإنه هو خالقه وهو مقدره وهو الذي كان بمشيئته سبحانه وتعالى، أَمَّا النِّعَم الدينية فذلك فَضْل الله يؤتيه مَنْ يشاء، هذا هو الفضل الذي يختص به مَنْ يشاء، الرسالة، الله أَعلم حيث يجعل رسالته، الإيمان وهو أعلم بالمرسلين، الإيمان هو الهدى، يهدي من يشاء سبحانه وتعالى، فالنعم الدينية مِنَ الإيمان والعمل الصالح والتقوى هذا فضْل مِنَ الله يَمُنُّ به على مَنْ يشاء، ﴿بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ﴾[5]، ﴿وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ﴾[6].

الثَّامِنَةُ: إِثْبَاتُ صِفَةِ السَّمْعِ للهِ تَعَالَى.

التَّاسِعَةُ: سَمْعُهُ سُبْحَانَهُ لِشَتْمِ الشَّاتِمِينَ وَأَذَى المُؤْذِينَ ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ، وَهَذَا مِنْ حِلْمِهِ تَعَالَى.

---

(١) سورة هود: ٦.

(٢) سورة فاطر: ١٥.

(٣) سورة البقرة: ٢٢.

(٤) سورة البقرة: ٢١، ٢٢.

(٥) سورة الحجرات: ١٧.

(٦) سورة الحجرات: ٧.

مِنَ الفوائد إثبات السمع لله، والأدلة على هذا كثيرة، فالسمع سمع للأصوات، سمع واسع لجميع الأصوات، فالحديث يدل على إثبات سمعه، وأنه يفهم أيضا أقوال الناس ما يؤذيه (**مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ**)، فهو يسمع أقوال مَنْ يؤذيه، ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ﴾[1]، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم﴾[2] بلى –يعني– نسمع سرهم ونجواهم، والخطاب للكافرين، ﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (٧٩) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾[3] فسَمْعُ الله صفة ذاتية له، وهي صفة ثابتة بالعقل والسمع، فسمعه هو معنى السمع المعقول، سمعه هو إدراكه للأصوات، ولهذا جاء عن أُمِّ المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها تقول: [سُبْحَانَ مَنْ وَسِعَ سَمْعُهُ لِلْأَصْوَاتِ].

العَاشِرَةُ: تَحْرِيمُ كُلِّ مَا يُؤْذِيهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنَ الأَعْمَالِ وَالأَقْوَالِ، وَكُلُّ مَا يُؤْذِيهِ سُبْحَانَهُ فَإِنَّهُ يَكْرَهُهُ.

نَعَمْ، الحديث يدل على تحريم كُلِّ ما يؤذيه سبحانه فالله تعالى رب العالمين لا يجوز في عقل و لا شرع التعرض لأذاه سبحانه، لا يجوز أن يؤذي العبد ربه بقول أو فعل.

فالأقوال التي تؤذيه هي الأقوال التي حرمها، كُلُّ ما يتضمن تشبيهه بخَلْقه أو نَفْيَ ما يستحقه –يعني أقوال المعطِّلَة وأقوال المشَبِّهة– كُلُّ هذا يؤذيه سبحانه وتعالى، فهو حرام، الاستهزاء به أو بآياته أو بأوليائه من رسله أو من عباده، كُلُّ هذا مما يؤذيه، وَكُلُّ ما يؤذيه مِنَ الأعمال والأقوال فإنه يكرهه، مكروه له سبحانه وتعالى، فوصْف الشيء بأنه يؤذيه تعالى يتضمن أَنَّ الله تعالى يكرهه، وهذا يستلزم تحريمه.

انْتَهَى هَذَا الحَدِيثُ

***

الحَدِيثُ الثَّالِثُ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[4] رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ،

---

(١) آل عمران: ١٨١.

(٢) الزخرف: ٨٠.

(٣) الزخرف: ٧٩، ٨٠.

(٤) عبد الله بن عباس البحر أبو العباس الهاشمي حبر الأمة، وفقيه العصر، وإمام التفسير، أبو العباس عبد الله، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب شيبة بن هاشم، واسمه عمرو بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر

أَنْتَ، الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ»[1].

لا إله إلا الله!! اقرأ ما في «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»، عندك؟ نَعَمْ.

قَالَ الشَّارِحُ: هذا طرف مِنْ حديث طويل تضمَّن التوجه إلى الله- والتوسل إليه بالإسلام والإيمان والتوكل عليه واللجوء إليه، ولفظه عند مسلم: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ»[2].

هذا الحديث فيه تَوَجُّه إلى الله، والتوسل بعزته في طلبه، والتوسل بعزته وبتوحيده وبقائه سبحانه وتعالى، التوسل بهذه الصفات في طلب العصمة مِنَ الضلال الذي هو أخطر ما يكون على العبد.

(**أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ**): في البخاري ليس فيه تصريح بالمستعاذ منه؛ فلهذا كانت رواية مسلم -يعني- أبسط وأوضح في المقصود، ورواية البخاري فيها شيء مِنَ الإجمال أو الاقتصار: «أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ»، لكن جاء في مسلم: «أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الَّذِي لَا تَمُوتُ، وَالجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ»[3]، فتضمَّن الاستعاذة بالله في عزته وإلَهيته ودوامه في طلب العصمة مِنْ أَنْ يضل العبد؛ «أَنْ تُضِلَّنِي»، الله تعالى هو الذي يضل مَنْ يشاء ويهدي مَنْ يشاء، فكان على العبد أَنْ يلجأ إلى ربه، كما يسأله الهداية يسأله العصمة مِنَ الضلال، وإذا نجا العبد مِنَ الضلالة فاز بالهداية؛ فإنهما نقيضان، فمَنْ عصمه الله من الضلالة هداه.

فتسأل ربك أَنْ يهديك وأَنْ يعصمك من الضلال؛ فإنه تعالى هو الذي يضل مَنْ يشاء ويهدي مَنْ يشاء، الأمر كله إليه، الأمر كله له سبحانه وتعالى، وعنِ اللفظ الذي ذُكِرَ منه «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» فيه التوسل كما قلنا بالإيمان:

القرشي، الهاشمي، المكي، الأمير -رضي الله عنه. مولده: بشعب بني هاشم، قبل عام الهجرة بثلاث سنين. صحب النبي صلى الله عليه وسلم نحوًا من ثلاثين شهرًا، وحدث عنه بجملة صالحة. توفي سنة ثمان وستين، وله إحدى وسبعين سنةً. (سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٣٠- ٣٥٣).

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد- باب قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾، ﴿وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾، وَمَنْ حَلَفَ بِعِزَّةِ الله وَصِفَاتِهِ (٧٣٨٣).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار- بَابُ التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عُمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يُعْمَلْ (٢٧١٧)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) سبق تخريجه.

«اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ».

والاستعاذة بالعزة أو بالرحمة؛ (أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، أَعُوذُ بِرَحْمَتِكَ، أَعُوذُ بِرِضَاكَ) كُلُّ هذا مِنْ تغيير التوسل، فستأتي الإشارة إلى أَنَّ هذا ليس مِنْ قبيل دعاء الصفة، بل هو مِنْ نوع التوسل إليه سبحانه بعزته وإلهيته، والتوسل يكون بأسمائه وبصفاته سبحانه وتعالى.

وَفِي الحَدِيثِ فَوَائِدُ، مِنْهَا:

أَوَّلًا: التَّوَسُّلُ إِلَى اللهِ فِي دُعَائِهِ بِالإِيمَانِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي أَعْظَمُهُ أَعْمَالُ القُلُوبِ مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَالخُضُوعِ لَهُ.

هذه الفائدة مأخوذة مِنَ السياق الذي جاء في رواية مسلم: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ»، وهو مِنْ نوع التوسل إليه بالأعمال الصالحة التي أهمها وأعظمها هي أعمال القلوب.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ، وَلَا قُدْرَةَ لِلْعَبْدِ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا بِاللهِ.

هذا مما يدل عليه قول العبد: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ»؛ فالأمر كله لله، ولا حوْل للعبد، هذا يرجع إلى معنى: (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ)، فلا حَوْلَ للعبد مِنْ حال إلى حال، ولا قوة له على أمرٍ يفعله أو يتركه إلا به سبحانه وتعالى.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مِنَ الإِسْلَامِ وَالإِيمَانِ التَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ.

التوكل على الله هو مِنْ خصال الإيمان وَمِنْ صفات الإسلام.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ التَّوَكُّلَ عَلَى اللهِ وَالتَّقَوِّيَ بِهِ سَبَبُ النَّصْرِ.

نَعَمْ، كُلُّ هذه المعاني مأخوذة مِنْ هذا اللفظ الذي ذُكِرَ فيه: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ»... إلى آخره.

الخَامِسَةُ: إِثْبَاتُ صِفَةِ العِزَّةِ للهِ، وَهِيَ القُوَّةُ وَالغَلَبَةُ وَالانْفِرَادُ بِالكَمَالِ.

هذا في الحديث، وفي القرآن إثبات صفة العزة له سبحانه، والأدلة على وصفه تعالى بالعزة كثيرة، فَاللهُ هُوَ

العَزِيزُ، اسمه العزيز جاءت في مواضع كثيرة وجاءت بلفظ العزة، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ﴾[1]، وقال تعالى عن إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[2]، وهو العزيز الذي لا تلحقه ذلّة، هو العزيز وأعز مِنْ كُلِّ شيء، مِنْ كُلِّ عزيز، ومعنى العزة يرجع إلى معنى القوة والغلبة والانفراد بالكمال، فهو العزيز في كُلِّ هذه المعاني، وقد جاء العزيز مقرونا بالقويِّ في مواضع، ﴿إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[3]، فيدل العزيز على معنى الغلبة ومعنى الانفراد، فهو القويُّ الذي قوته فوق كُلِّ شيء، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾[4]، فلا أحد أقوى منه، لا أحد في كُلِّ معاني الكمال هو أكْمَل منه، فهو القويُّ الذي لا أحد أقوى منه، وهو العزيز الذي لا أحد أعزُّ منه، وهو الصبور الذي لا أحد أصْبَرُ منه كما تقدم.

السَّادِسَةُ: مَشْرُوعِيَّةُ الاِسْتِعَاذَةِ بِعِزَّةِ اللهِ، وَالاِسْتِعَاذَةُ بِعِزَّةِ اللهِ أَوْ غَيْرِهَا مِنْ جِنْسِ التَّوَسُّلِ بِصِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَلَيْسَ من قبيل دُعَاءُ الصِّفَةِ.

قد سبق التنبيه عليه، أَنَّ التوسل يعني أولا يقول مشروعية التوسل أو الاستعاذة بعزته كما في هذا الحديث، كما جاءت الاستعاذة برضاه وبسخطه وبمعافاته مِنْ عقوبته؛ فكذَلك الاستعاذة بعزته مِنَ المكروه الذي هو الضلال، فجاءت -يَعْنِي- الاستعاذة في جملة مِنْ صفاته بعزته ورضاه ومعافاته، فينبغي أَنْ يعلم أَنَّ الاستعاذة بهذه الصفات وكذلك الاستعاذة بكلماته «أعوذ بكلمات الله»، هذه الاستعاذة بصفاته وبكلماته هو مِنْ قبيل الاستعاذة بصفاته، والاستعاذة بصفاته ليس هو مِنْ قبيل التوسل، لا مِنْ قبيل دعاء الصفة، فلا تقول: يا عزة الله أعيذيني مِنْ كذا وكذا. لأنَّ هذا هو دعاء الصِّفَة، ودعاء الصِّفَة بنحو هذه الصيغة يتضمن أنَّها شيء قائم في نفسه يسمع ويجيب ويخاطب وهذا يقضي بأَنْ تكون الصِّفَة شيئا مستقلا عن الله، بل تقتضي أَنْ تكون إلها؛ ولهذا نَص بعض العلماء أَنَّ دعاء الصِّفَة في حقيقته هو كفر إذا اعتقد الإنسان ما يتضمنه دعاء الصفة إذا اعتقد مَنْ دَّعِي الصِّفَة وهو يعتقد ما يتضمنه هذا الدعاء فقد جعل مع الله إلها آخر.

السَّابِعَةُ: التَّوَسُّلُ إِلَى اللهِ بِإِلَهِيَّتِهِ وَتَوْحِيدِهِ.

---

(١) الصافات: ١٨٠.

(٢) سورة ص: ٨٢.

(٣) الحج: ٤٠.

(٤) فصلت: ١٥.

هذا مأخوذ من نفس الحديث، «وَبِعِزَّتِكَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»، فالحديث تضمن التوسل إلى الله بعزته، الاستعاذة بعزته والتوسل إليه بإلهيته الذي لا إله إلا هو، كما يقول العبد: اللهم أنت الله لا إله إلا أنت عافني من كذا أو أعطني كذا.

الثَّامِنَةُ: أَنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَعْصِمُ مِنَ الضَّلَالِ مَنْ يَشَاءُ.

نَعَمْ هذا جاء صريحا في القرآن؛ أَنَّ الله يضل مَنْ يشاء ويهدي مَنْ يشاء، ﴿فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾[1]، فهو تعالى هو الذي يهدي، ولذا على العبد أَنْ يسأل ربه أَنْ يهديه صراطه المستقيم وأَنْ يستعيذ به مِنَ الضلالة كما في هذا الحديث: «أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ أَنْ تُضِلَّنِي، اللَّهُمَّ اهْدِنِي»، وسؤال الهداية يتضمن العصمة من النار، والاستعاذة من الضلال يتضمن سؤال الهداية، وإذا قلتَ: اللهم اهدني ولا تضلَّني. فهذا حسن.

التَّاسِعَةُ: إِثْبَاتُ قَدْرِ وَمَشْرُوعِيَّةِ الِاسْتِعَاذَةِ بِاللهِ مِنَ الإِضْلَالِ، وَهَذَا مِنْ جِنْسِ الِاسْتِعَاذَةِ بِرِضَاهُ مِنْ سَخَطِهِ سُبْحَانَهُ، وَبِمُعَافَاتِهِ مِنْ عُقُوبَتِهِ.

اثبات القدر يستفاد مِنْ قوله: «أَنْ تُضِلَّنِي». هذا يدل على أنه هو الذي يهدي مَنْ يشاء ويضل مَنْ يشاء، وهذا راجع إلى الإيمان بالقَدَرِ، فالإيمان بالقَدَر يتضمن الإيمان بأَنَّ مرَدَّ الأمر كله إلى قدرته تعالى ومشيئته، فيستعيذ بالله -بإلهيته- مِنْ بعض أفعاله، فيقول: أعوذ بعزتك أَنْ تضلَّني. كما تقول: «أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ»[2]. فتعوذ بصفته تعالى مِنْ صفته، وتعوذ بفعله مِنْ فعله؛ لأَنَّ الأمر كله له، ولهذا في آخر الحديث: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[3].

العَاشِرَةُ: إِثْبَاتُ اسْمِهِ «الحَيِّ»، وَالتَّوَسُّلُ بِهِ.

نَعَمْ، «أَنْتَ الحَيُّ الَّذِي لَا تَمُوتُ، وَالجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ»، والله سبحانه وتعالى سمى نفسه الحي في بعض مواضع مِنَ القرآن، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾[4]، فهو الحي كامل الحياة، فهوَ: ﴿الحَيِّ الَّذِي لا

---

(١) الأنعام: ١٢٥.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة- باب ما يقال في الركوع والسجود (٤٨٦)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) ما قبله.

(٤) الفرقان: ٥٨.

يَمُوتُ﴾[1]، وَ﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾[2]، لا يعتري حياته نقص بوجه مِنَ الوجوه، فلم يزل تعالى حَيا قيُّوما.

الحَادِيَةَ عَشَرَ: تَنْزِيهُ اللهِ عَنِ المَوْتِ.

تنزيه الله عن الموت، فَالله تعالى أثبت لنفسه الحياة وأثبت اسمه «الحَيّ»، ونزَّه نفسه عن الموت، فالله تعالى منزَّه عن الموت، فحياته لا يلحقها موت؛ بل ولا نَقْصٌ، ﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾، وإثبات حياته ونَفْي الموت عنه هذا يتضمن دوامه وبقاءه، وهذا يقتضي أن يكون التوكل عليه وحده؛ لهذا قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾[3]، أمَّا المخلوق فإنه يموت، فلا يجب الاعتماد على أحد مِنَ الخلق؛ لأنَّ المخلوق يموت مع ما هو عليه مِنَ النقص، فالله تعالى القدير على كُلِّ شيء، الذي بيده الأمر كله، له الأمر كله، وهو: ﴿الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾، هو الحقيق بالتوكل عليه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾.

الثَّانِيَةَ عَشَرَ: إِثْبَاتُ الجِنِّ، وَأَنَّهُمْ مِنْ عَالَمِ الأَحْيَاءِ، وَأَنَّهُمْ كَالإِنْسِ يَمُوتُونَ.

الثَّالِثَةَ عَشَرَ: أَنَّ حَيَاةَ الجِنِّ وَالإِنْسِ نَاقِصَةٌ؛ لِأَنَّهَا قَابِلَةٌ لِلْمَوْتِ.

الحديث فيه الدلالة على إثبات الجن، والجن أدلة وجودهم لا تُحْصَى مِنَ الكتاب والسنة، فوجود الجن وإنْ كانوا معنا في الأَرضِ وقريبين فَهُمْ مِنْ عالم الغيب –هذا الأصل فيه– إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونه، ولكنهم يتمثلون فيشاهَدُون في الصور التي يتمثلون بها، والأصل أَنَّ خِلْقَتَهم لا يراهم الإنس عَلَى خِلْقَتِهِمْ وطبيعتهم لكنهم يتمثلون، أَقْدَرَهُم الله على التمثل في الجملة، وإنكار وجود الجن كُفْرٌ؛ لأنه جاء بما هو معلوم مِنَ النصوص بالضرورة والأدلة على وجودهم، فالله أخبر عن بداية خلقهم وعن دعوة الرسل لهم وعن تكليفهم وعن جزائهم وعن بعض ما جرى منهم كثير، الجن منهم الشياطين الذين يكونون قرناء للإنس يضلونهم، ومنهم مؤمنون ومنهم فاسقون، ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾[4]، وسورة الجن من أَوَّلها إلى في شأنهم.

وفيهم أنهم أحياء، فهم من جملة الأحياء؛ أي لهم حياة، ولكنهم يموتون كالإنس، يموتون كما في نصِّ

(١) سورة الفرقان: ٥٨.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٣) سورة الفرقان: ٥٨.

(٤) سورة الجن: ١١.

الحديث: «وَالجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ»(١)، لَكِنَّ إبليس -الذي هو أبوهم، أبوهم، إبليس الأول هو أبو الجن- هذا قد أَنْظَرَه الله إلى يوم القيامة، ولا بد له أَنْ يموت.

الرَّابِعَةَ عَشَرَ: أَنَّ التَّوَكُّلَ لَا يَجُوزُ إِلَّا عَلَى اللهِ، وَلَا يَلِيقُ إِلَّا بِهِ؛ لِأَنَّهُ الحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ.

الخَامِسَةَ عَشَرَ: أَنَّهُ لَا يَجُوزُ التَّوَكُّلُ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ؛ لِأَنَّهُمْ يَمُوتُونَ.

نَعَمْ، هذا المعنى تَقَدَّم تفصيل هذا معنا، وَأَنَّ الله تبارك وتعالى أمر بالتوكل عليه، وَبَيَّنَ أنه يستحق التوكل عليه؛ لأنه ﴿الحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾، وَيُفْهَم مِنْ هذا أنَّ الذين يموتون لا يُعَوَّلُ عليهم ولا يُعْتَمد عليهم، والجن والإنس يموتون؛ فلا يجوز التوكل على أحد من الجن والإنس، لَكِنْ هذا لا يمنع مِنْ فِعْلِ الأشياء التي قدرها الله وجَرَت بها سُنَّة الله في العباد مِنَ التعاون بَيْنَ الناس، الاستعانة بالإنسان هذا لا بُدَّ منه وهو الجاري، فلا بُدَّ للناس مِنَ التعاون في أمور دينهم ودنياهم، ولَكِنَّ التوكل الذي هو تفويض الأمر والاعتماد إنَّما يكون على الله سبحانه وتعالى.

وأَمَّا الجن فلا علاقة بيننا وبينهم؛ فلا يجوز الاستعانة بالجن، يعني هُمْ غائبون عنَّا؛ ولهذا جاء ذَمَّ الذين يستعيذون برجال مِنَ الجن ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾(٢)، فلا يستعاذ بهم، ولا يستعان بهم، لكن المواقف خاصَّة وعارضة هذا شيء آخر، أَمَّا ما يكون مثلا مِنْ إنسان يَدَّعِي أَنَّ له أصحابا مِنَ الجن وأَنَّهُم يخبرونه ويعينونه ويفعلون له؛ فهذا لَمْ يدل عليه دليل، وَلَمْ يُذْكَرْ عن أحد مِنْ أهل العلم ومن السلف أنه وقع لهم مثل ذلك، لَكِنَّ الشيء العارض أمر آخر قد يتمثل الجن في بعض المواقف ويعينك على أمرٍ مِنَ الأمور يقيضه الله لك، وأَمَّا ما يفعله الرَّاقُون مِنْ سؤالهم للْجن ؟ لم افهمه؟ فهذا مِنْ سؤال الفاسق؛ لأنَّ هذا الجن إمَّا كافر أو فاسق.

انْتَهَى

* * *

(١) تقدم تخريجه.

(٢) سورة الجن: ٦.

الأَسْئِلَةُ

السُّؤَالُ: قَوْلُهُ ﷺ: «مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ»[1] لِمَ جَاءَ أَفْعَلُ التَّفْضِيلِ بِالنَّصْبِ؟

الجَوَابُ: ما هذه يسمونها (مَا الحِجَازِيَّة)، وهي تعمل عَمَلَ (لَيْسَ) فترفع الاسم وتنصب الخبر؛ ولهذا اللفظ الآخر: «لَا أَحَدَ أَصْبَرُ مِنَ الله» فتنصب الاسم، فـ(لَا النَّافِيَةُ لِلْجِنْسِ) مِنْ أخوات (إِنَّ)، أو أنَّها تعمل عمل (إِنَّ) تنصب الاسم وترفع الخبر، أَمَّا (مَا الحِجَازِيَّةُ) فترفَع الاسم وتنصب الخبر.

السُّؤَالُ: مَا هُوَ الرَّاجِحُ فِي اسْمِ «الصَّبُورِ» عَلَى الله تَعَالَى؟

الجَوَابُ: ما يظهر لي أنا قلت إِنَّه لم يثبت.

السُّؤَالُ: عَلَى فَرْضِ عَدَمِ ثُبُوتِهِ، هَلْ يَجُوزُ التَّسْمِيَةُ بِهِ؟

الجَوَابُ: قُلْ: إِنَّ الله صبور. يقول: إِنَّ الله صبور، هو أَصْبَرُ الصابرين. لَكِنْ لاَ تَقُلْ: يا صبور.

السُّؤَالُ: بِالنِّسْبَةِ لِتَسْمِيَةِ عَبْدِ الصَّبُورِ؟

الجَوَابُ: هذا من التوسع فهم يسمون عَبْدُ الموجود، عَبْدُ المَهْدِيِّ، فالناس يتوسعون في التعديد

السُّؤَالُ: هَلْ فِعْلُ المَكْرُوهَاتِ مِمَّا يُؤْذِي الله تَعَالَى؟

الجَوَابُ: الله أَعْلَمُ، نَعَمْ.

السُّؤَالُ: لَفْظَةُ «يَدْعُونَ» فِي الحَدِيثِ، هَلْ هِيَ بِتَسْكِينِ الدَّالِ أَمْ بِتَشْدِيدِهَا؟

الجَوَابُ: الظاهر أنهُ كذا وكذا، والمعنى واحد أو متقارب، «يَدَّعُونَ»، «يَدْعُونَ»، يزعمون ويفترون أَنَّ لله ولدا، ويدْعون يعني يقولون.

السُّؤَالُ: هَلْ يَجُوزُ نِدَاءُ الله بِصِفَاتِهِ؛ مِثْلُ: يَا وَجْهَ الله؟

الجَوَابُ: لَا، هَذَا مِمَّا لَا يَلِيقُ، هَذَا كَلَامُ الجُهَّالِ.

السُّؤَالُ: مَا حُكْمُ قَوْلِ: يَا بَرَكَةَ بِاسْمِ الله؟

الجَوَابُ: هذا من اللَّغو الذي لا معنى له.

السُّؤَالُ: مَا الفَرْقُ بَيْنَ النَّذْرِ وَالتَّوَسُّلِ بِالعَمَلِ الصَّالِحِ؟

---

(١) تقدم تخريجه.

الجَوَابُ: النَّذْر فيه إلزام، والتوسل لا، في الدعاء إذا قلت: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»[1]. يعني توسل بتوحيدك لله وإقرارك بإلهيته (أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الأَحَدُ، الفَرْدُ، الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ). أمَّا النَّذْرُ فتقول: لله علي كذا وكذا إِنْ شَفَى الله مريضي. أو: إِنْ نِلْتُ كذا وكذا فعَلَيَّ صيام أو صدقة أو صلاة.

السُّؤَالُ: هَلْ يَجُوزُ قَوْلُ: يَا سَاتِرُ؟ وَهَلْ هُوَ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ؟

الجَوَابُ: لا، ما اذكره، يجري على الألسن ولا يشدد في هذا؛ يا ساتر يريدون الله، يا الله، لو يقول: يا الله يا مَنْ يستر علينا يكون هذا أفْضَل.

السُّؤَالُ: كَيْفَ يُرَدُّ عَلَى شُبْهَةِ اخْتِلَافِ صِفَةِ اللَّيْلِ الأَخِيرِ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ -يَعْنِي يَسْأَلُ عَنْ نُزُولِ اللهِ كَيْفَ وَاللَّيْلُ يَخْتَلِفُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ؟

الجَوَابُ: لا يقاس بخَلْقه، الله اعلم، نحن نعلم بنزوله ونؤمن به، ولا يجوز أَنْ نُورِدَ عليه إشكالات عقلية، كُلُّ مَنْ يشكِّك فيما أخبر به الله ورسوله فهو مِنْ وسوسة الشيطان، الله أَعْلَم كيف يكون هذا، الله لا يُقَاس بخَلْقِهِ، إذا نزل في هذا الوقت امتنع نزوله لا، **الجَوَابُ**: أَنَّ نزولَه ليس كنزول المخلوق، وهكذا كما هو الشأن في كُلِّ صفاته.

السُّؤَالُ: مَا حُكْمُ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ؟ وَمَا الفَرْقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ؟

الجَوَابُ: الدعوة إلى الله مِنَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكَر، لكَنْ في الغالب يُقْصَد بالدعوة إلى الله -يَعْنِي- أَمْر أوسع مِنْ أَمْرِ الأمر فيه (افْعَلْ، لَا تَفْعَلْ، هَذَا يَجُوزُ، هَذَا لَا يَجُوزُ، اتَّقِ اللهَ يَا فُلَانُ، اتَّقُوا اللهَ)، لَكِنْ في الدعوة لا، قد يكون فيها ترغيب وترهيب، وفيها تعليم، وفيها ذكر بالوعد والوعيد، وما أشبه ذلك.

السُّؤَالُ: مَا رَأْيُكُمْ فِي غُلَاةِ الأَشَاعِرَةِ؟

---

(١) ذِكْرُهُ كاملًا: حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، أَخْبَرَنَا يَحْيَى، عَنْ مَالِكِ بْنِ مِغْوَلٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. فَقَالَ: «لَقَدْ سَالتَ اللهَ بِالاسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ» أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة - باب الدعاء (١٤٩٣)، والترمذي في كتاب الدعوات - باب ما جاء في جامع الدعوات عن النبي صلى الله عليه وسلم (٣٤٧٥)، وابن ماجه في كتاب الدعاء - باب اسم الله الأعظم (٣٨٥٧)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود».

الجَوَابُ: ماذا نفعل فيهم؟!

السُّؤَالُ: مَا حُكْمُ الفَرَحِ بِمَوْتِ بَعْضِ وُلَاةِ الأَمْرِ؟

الجَوَابُ: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، الفرح بموْتِ الكافرين الظالمين أعداء الإسلام والمسلمين مما يسر به الانسان بني ملته، كما يَحْزن المؤمن بموْت الصالحين والعلماء والعالمين يفرح بموْت أشرار الخلق.

السُّؤَالُ: هَلْ هَذَا الفِعْلُ مِنَ الرِّيَاءِ: شَخْصٌ كُلَّمَا نَزُورُهُ يَحْمِلُ كِتَابًا يَقْرَأُ فِيهِ وَيَقُولُ: أُرِيدُ أَنْ أُشَجِّعَكُمْ عَلَى الطَّلَبِ؟

الجَوَابُ: يقرأ لنفسه أَمْ يقرأ ليُسْمِعكم؟ لا ندري، قد يكون هذا خلاف ما يليق بأدب المجالسة، إذا زارك صديق يريد أَنْ يتحدث معه تأخذ الكتاب وتشغل الَوقت وتشغل نفسك عنه، وهو يريد بعض الوقت ويمشي، فلا أدري حقيقة الواقع الذي يريده السائل.

السُّؤَالُ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ لِهِرَقْلَ: «فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ»[1]**؟**

الجَوَابُ: عليك إثم الذين أضللتهم، وفسَّرَ «الأَرِيسِيِّينَ» بالفلاحين؛ لأَنَّ مِثل هؤلاء أتباع لِمَنْ يقلدونه ويعظِّمونه، فأئمَّة الضلال مِنَ الرؤساء والملوك ومِنْ دعاة الضلال يحملون أوزارهم وأوزار مَنْ أضلوهم، يحملون أوزارهم وأوزار الذين أضلوهم.

وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله محمد وعلى آله وصحبه.

***

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي- باب بدء الوحي (٧)، ومسلم في كتاب الجهاد- باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل (١٧٧٣).

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قَالَ البُخَارِيُّ (رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى): [بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾[1]، وقال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[2]، وَقَالَ: ﴿وَلله العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾[3]].

قَالَ: [وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[4] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَـمَّا خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ وَهُوَ يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ وَهُوَ وَضْعٌ عِنْدَهُ عَلَى العَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»[5]].

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

هذا الحديث خبر يخبر به النبي ﷺ عن ربه وهو أنه تعالى لما خلق الخلق، كما في اللفظ الآخر: «لَـمَّا قَضَى الخَلْقَ»[6]. (خَلَقَ الخَلْقَ) يعني: فرغ مِنْ خلقه، والمراد بالخَلْقِ هو خلق هذا الوجود؛ السماوات والأرض وَمَنْ فيهنَّ وما بينهن.

لما قضى هذا الخَلْقَ، وهو الخَلْقُ الذي أخبر تعالى بأنه خَلَقَهُ في ستَّة أيام، يعني: هذا الخبر إنما كان بَعْدَ ستة أيام.

(لَـمَّا خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ) -أو قضى الخلْقَ- كتب في كتاب، هذا يقتضي أنها كتابة؛ ولهذا جاء في رواية: «كَتَبَ بِيَدِهِ»[7]. وَمِنْ أفعاله سبحانه وتعالى الكتابة، يكتب، كما أنه خَلَقَ آدم بيده فإنَّه يكتب ما شاء بيده، كما جاء في

---

(١) سورة إبراهيم: ٤.

(٢) سورة الصافات: ١٨٠.

(٣) سورة المنافقون: ٨.

(٤) هو: عبد الرحمن بن صخر الدوسي، الملقب بأبي هريرة: صحابي، كان أكثر الصحابة حفظًا للحديث وروايةً له. نشأ يتيمًا ضعيفًا في الجاهلية، وقدم المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر، فأسلم سنة ٧ هـ، ولزم صحبة النبي، فروى عنه ٥٣٧٤ حديثًا، وولي إمرة المدينة مدة. وكان أكثر مقامه في المدينة وتوفي فيها سنة ٥٩هـ. (تهذيب الكمال: ٣٤/ ٣٦٦).

(٥) بلفظ: «لَـمَّا خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ كِتَابًا فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي» أخرجه البخاري في كتاب التوحيد- باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾ (٧٤٠٤)، ومسلم في كتاب التوبة- باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (٢٧٥١).

(٦) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد- باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ﴾، ﴿وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ﴾ (٧٤٢٢)، من حديث أبي هريرة.

(٧) أخرجه أحمد في «مسنده» (٩١٥٩، ٩٥٩٧)، وابن ماجه في كتاب الزهد- باب ما يُرْجَى مِنْ رَحْمَةِ الله يوم القيامة (٤٢٩٥)، والترمذي في أبواب الدعوات- باب خلق الله مائة رحمة (٣٥٤٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٥٥).

الحديث المشهور أنه تعالى كتب لموسى، خطَّ التوراة بيده، والقول في هذا كالقول في سائر الصفات.

كيف؟! هذا ممنوع، ما فيه (كَيْفَ)، قال في الرواية عندكم: (**وَهُوَ يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ**). معناه أنه كتب في هذا الكتاب؛ كتب بيده كتابا على نفسه، وهذا معناه يتضمن أنَّ الله أوجب على نفسه، نَعَمْ، أوجب على نفسه، كما قال سبحانه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[1]. فهذا مِنْ جنسه، مِنْ نوْع: كتب على نفسه. أوجب على نفسه، هنا كأنها -يعني- معترِضة.

(**كَتَبَ فِي كِتَابٍ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي**): هذا هو المكتوب بالكتاب.

(**وَهُوَ يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ**): كما أنه يُحرِّم على نفسه.

«وَهُوَ مَوْضُوعٌ - أَوْ: وَهُوَ وَضْعٌ»: يعني «وَضْعٌ» أيْ «مَوْضُوعٌ» كما في رواية مسلم، هذا الكتاب موضوع عند الله فوق العرش، هذا الكتاب المكتوب فيه: (**إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي**). وفي هذا مدح وثناء على الله بأَنَّ رحمته تغلب غضبه، يتضمن هذا ما تقتضيه الرحمة؛ وبهذا يتبين أَنَّ هذا الحديث تضمَّن جملة مِنْ صفات الله: كالغضب، الرحمة، الاستواء على العرش، الفوقيَّة له سبحانه وتعالى؛ يعني: صفات ذاتيَّة وصفات فعليَّة، صفات ذاتيَّة كالرحمة، وصفات فعليَّة كاستوائه عى العرش وكتابته سبحانه وتعالى ما شاء بيده، هذا كله.

تضمَّن الحديث جملة مِنَ الصفات، وكُلُّ هذه الصفات ثابتة بالأدلة؛ يعني بأدلة كثيرة مِنَ القرآن ومن السُّنَّة، ليس هذا الحديث هو الأصل فيها؛ لكنَّه واحد مِنَ الأدلة على إثبات هذه الصفات، وهذا خبر مِنْ عِلْم الغيب، خبر يخبر به النبى (ﷺ) عن ربه وما فعله بعدما فرغ مِنْ خَلْق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، وهذه الصفات كلها ينفيها المعطِّلة وفي مقدمتهم الجَهْمِيَّةُ، الجَهْمِيَّةُ هُم الأصل في التعطيل، والمعتزلة فرع عنهم قريب، فرع قريب منهم، والأشاعرة فرع مِنْ بعدهم لَفَّقُوا بَيْنَ مذهب المعطِّلة كالجَهْمِيَّة والمعتزلة ومذهب أهل السُّنَّة وخلَّطُوا في ذلك، فمذهب الأشاعرة يقوم على التَّلفيق، والمراد متأخرو الأشاعرة الذين لا يثبتون مِنَ الصفات إلَّا ما دل عليها العقل، وزعموا أَنَّها ليست إلَّا سبْع صفات، سبحان الله!!

قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ اشْتَمَلَ عَلَى جُمْلَةٍ مِنْ صِفَاتِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ، الَّتِي يَجْحَدُهَا الْمُعَطِّلَةُ، وَهِيَ الفَوْقِيَّةُ عَلَى العَرْشِ، وَالكِتَابَةُ، وَالرَّحْمَةُ، وَالغَضَبُ، وَكُلُّهَا مِمَّا تَضَافَرَتْ عَلَيْهِ الأَدِلَّةُ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ،

---

(١) سورة الأنعام: ٥٤.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾، وَقَالَ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾، ﴿وَرَبُّكَ الغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾، وَفِي «المُسْنَدِ» وَ«السُّنَنِ»: «كَتَبَ بِيَدِهِ»[1]، وَلَفْظُهُ عِنْدَ مُسْلِمٍ: «لَمَّا قَضَى اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ عَلَى نَفْسِهِ، فَهُوَ مَوْضُوعٌ عِنْدَهُ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»[2].

هَذِهِ المُقَدِّمَةُ -يعني- تضمَّنت التعبير عن شأن هذا الحديث وما اشتمل عليه مِنْ صفات الله، والإشارة إلى شواهده مِنَ القرآن، وفي الرواية التي في المُسند فيها زيادة تأكيد؛ «كَتَبَ بِيَدِهِ»، نَعَمْ.

وَفِي الحَدِيثِ فَوَائِدُ، مِنْهَا:

أَوَّلًا: أَن لِهَذَا العَالَمِ المَوْجُودِ بِدَايَةً، وَالمُرَادُ بِالخَلْقِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَهِيَ الَّتِي خَلَقَهَا سُبْحَانَهُ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ.

هذا الحديث وآيات لا تُحْصَى وأحاديث فيها دلالة على أنَّ هذا العالم الموجود له بداية، يعني هذا العَالَمُ ليس قديما، بل هو مُحْدَثٌ بَعْدَ أنْ لَمْ يكن، فَلَمْ تكن هناك أرض ولا سماء ولا شمس ولا قمر ولا كواكب، بل هذا أَحْدَثَهُ الله، وقد سبَق عِلْمُه وكتابه بذلك، كتب مقادير الخَلْقِ، هذا الخَلْقِ، كتب مقادير هذا الخَلْقِ قَبْلَ خَلْقِه، يعني قَبْلَ خَلْقِ السماوات والأرض بخمسين ألف سنة؛ كما جاء في مسلم عن عَبْدِ الله بن عمرو[3]: «قَدَّرَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلْقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلفَ سَنَةٍ»[4].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي ابن هاشم بن سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب. الإمام، الحبر، العابد، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن صاحبه، أبو محمد.وقيل: أبو عبد الرحمن. وقيل: أبو نصير القرشي، السهمي. وأمه: هي رائطة بنت الحجاج بن منبه السهمية، وليس أبوه أكبر منه إلا بإحدى عشرة سنةً، أو نحوها. وقد أسلم قبل أبيه -فيما بلغنا-. ويقال: كان اسمه العاص، فلما أسلم غيره النبي صلى الله عليه وسلم بعبد الله. وله: مناقب، وفضائل، ومقام راسخ في العلم والعمل، حمل عن النبي صلى الله عليه وسلم علمًا جمًا. يبلغ ما أسند: سبع مائة حديث، اتفقا له على سبعة أحاديث، وانفرد البخاري بثمانية، ومسلم بعشرين. وكتب الكثير بإذن النبي صلى الله عليه وسلم وترخيصه له في الكتابة بعد كراهيته للصحابة أن يكتبوا عنه سوى القرآن، وسوغ ذلك صلى الله عليه وسلم. ثم انعقد الإجماع بعد اختلاف الصحابة -رضي الله عنهم- على الجواز والاستحباب لتقييد العلم بالكتابة. بمصر، ودفن بداره الصغيرة سنة خمس وستين. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٧٥-٨٩).

(٤) بلفظ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلفَ سَنَةٍ -قَالَ- وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ» أخرجه مسلم في كتاب

إذن الخَلْقُ له بداية، هذا الوجود لا بُدَّ مِنَ التَّنبُّه إلى أنَّ فَرْقَ بَيْنَ أنْ نقول: إنَّ هذا الخَلْقَ له بداية. أو أنْ نقول: جنس المخلوقات له بداية.

لا، هذه مسألة أخرى.

هذا الخَلْقُ له بداية، وهل خَلَقَ الله قَبْلَ ذلك؟ نَعَمْ، فيه ما عُلِمَ بالنص، وهو العرش والماء والقلم، كُلُّ هذا ممّا عَلِمْنَا أنَّ الله خلَقَهُا قَبْلَ السماوات والأرض، وَعُلِمَ بالعقل والشرع أنَّ الله لَمْ يَزَلْ فَعَّالًا لِـمَا يريد ولَمْ يَـزَلْ اسمه الخالق والخلَّاق والفَعَّال لِـمَا يريد، نَعَمْ.

وَالثَّانِيَةُ: أَنَّ هَذَا العَالَمَ مُحْدَثٌ؛ فَفِيهِ الرَّدُّ عَلَى الفَلَاسِفَةِ القَائِلِينَ بِقِدَمِ هَذَا العَالَمِ.

هَذِهِ الفَائِدَةُ مرتبطة بالتي قبْلها، يعني في الحديث يدل على أنَّ هذا العَالَمَ مُحْدَثٌ، هذا علمناه مِنْ معنى أنَّ له بداية، فكل ما كان له بداية فهو مُحْدَثٌ، لَكِنَّ المقصود أنَّ هذا المعنى فيه الردُّ على الفلاسفة القائلين بقدم هذا العَالَمِ.

الفلاسفة الذين يقولون بِقِدَمِ العَالَمِ يريدون به أنَّ الأفْلاك وهذه السماوات أنَّها قديمة، ومعنى أنَّها قديمة معناه أنَّها لا بداية لها، قديمة قديمة قِدَما لا بداية له، بل المعنى بقولهم أنَّ وجود هذا العَالَمِ مقارن لوجود الله، وأنه تعالى ليس قَبْلَ هذه المخلوقات، بل هي معه وهي صادرة عنه صدورا معلولا عن العلة التامة، ولهذا يسمون الخالق -تعالى عن قولهم- يسمُّونه العِلَّة الأولى، العِلَّةَ الأولى، وهذا باطل شرعا وعقلا، فالقديم لا يكون مخلوقا، القديم القديم الذي لا بداية له لا يكون مخلوقا، وهذا العَالَمُ مخلوق، وكُلُّ ما يوجد بقدرة الله ومشيئته فهو مُحْدَثٌ بَعْدَ أنْ يكن، وليس في الخَلْقِ وفي العَالَمِ -مهما قِيلَ- ليس منها شيء قديم قدمًا لا بداية له، لا يوجد، كُـلُّ مُحْـدَثٍ فهو مسبوق بعدم نفسه، ومسبوق بما خَلَقَ الله قَبْله، فكُلُّ مخلوق فهو مُحْدَثٌ وموجود بَعْدَ عدم، نَعَمْ.

الثَّالِثَةُ: إِثْبَاتُ الكِتَابَةِ مِنْ أَفْعَالِهِ سُبْحَانَهُ، وَلَهَا مَعْنَيَانِ:

الأَوَّلُ: الكِتَابَةُ بِمَعْنَى الإِيجَابِ.

الثَّانِي: الكِتَابَةُ الَّتِي تَكُونُ بِاليَدِ وَالقَلَمِ.

هذا الحديث فيه دلالة على إثبات فِعْلِ الكتابة مِنَ الله، أو صفة الكتابة، أنَّ الله يكتب ما شاء، والكتابة المُضَافَة إلى الله نوعان:

القدر- باب حجاج موسى وآدم عليهما السلام (٢٦٥٣).

* كتابة بمعنى الحُكْم والإيجاب؛ (كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ) يعني: أوجب على نفسه، وما يوجبه على نفسه إما أنْ يكون شرعيا وإمَّا أنْ يكون كونيا، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾[1]، أو تقول: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ»[2]؛ كتبها يعني أوجبها، أوجبها سبحانه وتعالى على عباده، هذه الكتابة الشرعية، كتابة شرعية.

وهناك الكتابة الكونية، مِنْ شواهدها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[3]، كتب، فكُلُّ هذه المخلوقات قد جرَى بها طلب القدَر وكتابة القَدَر، «أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ»[4].

* وتأتي الكتابة بمعنى الفعل الذي يكون باليد والقلم، كهذه الكتابة، فالكتابة التي ذُكِرَتْ في هذا الحديث تتضمن المعنيَيْنِ؛ معنى الكتابة الفعلية التي تكون باليد كما يشاء الله، وتتضمن هذه الكتابة الإيجاب مِنَ الله على نفسه، أنه كتب على نفسه، كتب على نفسه، أوجب على نفسه بكتاب كتبه؛ فهذا الكتاب موضوع عنده فوق العرش، ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ﴾؛ إذَنْ هذا فيه معنى الإيجاب، أنَّ الله أوجب على نفسه، ويظهر أنَّ الإيجاب الذي عُبِّرَ عنه بالكتابة أنه -يعني- إيجاب قد حدث؛ يعني قد تمَّ ووقع بكتابة، بكتاب مكتوب، كما في هذا الحديث، يعني هذا الحديث -يعني- كأنَّه يُترجِم أو يفسِّر قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾، نَعَمْ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ اللهَ يُوجِبُ عَلَى نَفْسِهِ مَا شَاءَ، كَمَا يُحَرِّمُ عَلَى نَفْسِهِ مَا شَاءَ، وَلَا أَحَدَ يُوجِبُ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَلَا يُحَرِّمُ.

الخَامِسَةُ: الرَّدُّ عَلَى الأَشَاعِرَةِ القَائِلِينَ: إِنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَى اللهِ شَيْءٌ.

يعني: هذا الحديث دليل لأهل السُّنَّة أنَّ الله يجب عليه ما أوجبه على نفسه، نَعَمْ، يجب عليه ما أوجبه على نفسه، فلا أحد يوجب عليه ولا يُحَرِّم عليه، لكنَّه تعالى يوجب على نفسه، وما أوجبه على نفسه لا بدَّ أنْ يفعله،

---

(1) سورة البقرة: ١٨٣.

(2) بلفظ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَى العِبَادِ» أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة- باب فيمن لم يوتر (١٤٢٠)، والنسائي في كتاب الصلاة- باب المحافظة على الصلوات الخمس (٤٦١)، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها- باب ما جاء في فرض الصلوات والمحافظة عليها (١٤٠١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٢٤٣).

(3) سورة الأنبياء: ١٠٥.

(4) أخرجه أبو داود في كتاب السنة- باب في القدر (٤٧٠٠)، والترمذي في كتاب القدر- باب ما جاء في الرضا بالقضاء (٢١٥٥)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠١٨).

وَيُحَرِّمُ على نفسه؛ كما في الحديث القدسيِّ: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ عَلَيْكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا»[1]، فهو يوجب على نفسه ويُحَرِّم على نفسه، أوجب على نفسه التوبة على التائبين، كما يدل عليه لفظ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾[2]، فالله أوجب على نفسه التوبة على التائبين، وأوجب على نفسه أجْر المهاجر الصادق في نيَّته الذي خرج مِنْ بيته فأدركه الموت، قال الله: «فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ»[3]؛ فالحديث دليل لمذهب أهل السُّنَّة والجماعة.

ومن أدلتهم حديث معاذ[4] المشهور؛ قال النبي (ﷺ): «يَا مُعَاذُ: أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ؟! وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ؟! قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «حَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[5].

(حَقُّ): يعني أنَّ عدم تعذيب الموحدين حق على الله أَحَقَّه الله على نفسه.

نقول إذَنْ في هذا الحديث: كما أنه دليل لأهل السُّنَّة فيما ذهبوا إليه؛ هو فيه الرد على بِدَعِ الأشاعرة الذين يقولون: لا يجب على الله شيء ولا يَحْرُم عليه شيء، كُلُّ ممكن يجوز على الله، كُلُّ ممكن، فما ثَمَّ إلَّا المشيئة.

وينفون الحكمة، فلا يَحْرُم عليه شيء ولا يجب عليه شيء، كأنَّهم يقولون: إنَّه يجوز عقلا أنْ يعذب الله أنبياءه ورسله والمؤمنين، يعني جائز عقلا، لو شاء وفَعَلَ كان هذا حسنا منه، وبالعكس، لكنَّنا استفدنا أنَّ الله يُدْخِلُ المؤمنين الجنة بالخبر، وهذا مبني على نَفْيِ الحكمة، نَفْيِ الحكمة عن الله في أفعاله، وهمْ بهذا -يعني- خالفوا النصوص، ثُمَّ إنَّهم -يعني- يقفون مِنْ هذه النصوص موقف التأويل، فعندهم أنَّ الظلم -الظلم المراد في

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب- باب تحريم الظلم (٢٥٧٧).

(٢) سورة النساء: ١٧.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٦٤١٤)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٨٩٧، ١٩٣٣٠)، من حديث عبد الله بن عتيك.

(٤) هو: معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدي بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج، أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي ثم الجشمي. أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبد الله بن مسعود. توفي في طاعون عَمَوَاس سنة ثماني عشرة. انظر: الاستيعاب (ص: ٦٥٠ ترجمة ٢٢٧٠)، وأسد الغابة (٥/ ١٨٧ ترجمة ٤٩٦٠).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد- باب اسم الفرس والحمار (٢٨٥٦)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة (٣٠).

الحديث- أنَّ الظلم هو المستحيل؛ كالجمع بَيْنَ النقيضين، يقولون: هذا هو الظلم.

أمَّا أنْ يعذِّب أحدا بغير ذنب أو يعذِّب أحدا بذنب غيره فهذا ممكن ويجوز، يجوز أنْ يكون مِنَ الله -تعالى عن قولهم.

المهم أنَّ الحديث فيه الرد عليهم، وهكذا الآيات الدالة على أنَّ الله أوجب على نفسه كما تَقَدَّم.

السَّادِسَةُ: إِثْبَاتُ النَّفْسِ لله تَعَالَى.

فيه صفة النفس، والنفس جاءت في القرآن في مواضع: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾[1]، ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾.

إثبات النفس، أنْ نقول: الله نفسه فوق العرش، الله نفسه. والمراد بالنفس هي الذات، هي ذاته، معروف في اللغة العربية إذا قال لك قائل: جاء محمد نفسه. أيْ هو نفسه، يعني بعينه، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالعِبَادِ﴾[2]، وقال في الآية الأخرى: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾[3].

قوله: ﴿فَاحْذَرُوهُ﴾ هو معنى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾. تماما، احذروه: احذروا الله أنْ يعذبكم ويعاقبكم؛ فإنَّه لا تخفى عليه خافية، يعلم ما في أنفسكم، ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾. راقبوه واحذروا عقابه وسخطه.

إذَنْ لفظ النفس ومعنى النفس جاء بمواطن في الكتاب والسُّنَّة، ولا يجوز أن تفسَّر النفس بمعنى الرُّوحِ، الرُّوحُ -يعني- له نفس رُوح، وأن حياته وكذا، وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾[4] ليس المراد أنه نفخ فيه شيئا مِنْ ذاته كما يظنه البعض أو يتوهمه، بل نفخ فيه مِنْ رُوحه؛ فإضافة الرُّوح هنا مِنْ إضافة المخلوق إلى خالقه، إضافة تشريف، كما سَمَّى جبريل رُوحه ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾[5]؛ سَمَّى جبريل رُوحا وأضافه إلى نفسه،

---

(١) سورة آل عمران: ٣٠.

(٢) سورة آل عمران: ٣٠.

(٣) سورة البقرة: ٢٣٥.

(٤) سورة السجدة: ٩.

(٥) سورة مريم: ١٧.

وأضاف المسيح إلى نفسه بقوله: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[1].

السَّابِعَةُ: إِثْبَاتُ الفَوْقِيَّةِ للهِ تَعَالَى، وَالِاسْتِوَاءِ عَلَى العَرْشِ.

نَعَمْ، الحديث ظاهر الدلالة على هذا، والأدلة على إثبات الفوقيَّة كثيرة في الكتاب والسُّنَّة، وأهل السُّنَّة والجماعة يؤمنون بأنَّ الله نفسه فوق العرش، أنَّ الله نفسه قد استوى على العرش، وله تعالى الفوقيَّة بكُلِّ معانيها مِنْ فوقيَّة الذات والقَدْر والقَهْر، وهذا الحديث مِنَ الأدلة على فوقيَّة الذات وأنَّه نفسه تعالى فوق العرش.

وكُلُّ الطوائف المبتدعة مِنَ الجَهْمِيَّة والمعتزلة والمبتدعة ينفون صفة الفوقيَّة والاستواء على العرش؛ فمنهم مَنْ يقول: إنَّه تعالى في كُلِّ مكان. يعني: هو نفسه في كُلِّ مكان، يعني: مُخْتَلِط بالخَلْقِ، وهذا هو الحُلُول، هذا هو معنى القول بالحُلُول، أو يقول بعضهم ما لا يُتَصَوَّر في العقل: إنَّه -تعالى عن قولهم- لا داخل العَالَمِ ولا خارجه، يعني: نُفَاة العُلُوِّ ما لهم مَفَرٌّ مِنْ أحد هذين المذهبين، وفعلا، وهذا -يعني- ما يقال: إنَّه لا داخل العَالَمِ ولا خارجه. هذا حقيقة المعدوم، المعدوم صحيح تقول له: لا داخل العَالَمِ ولا خارج العَالَمِ. لأنَّه معدوم، لا حقيقة له، ولا وجود له. نَعَمْ.

الثَّامِنَةُ: إِثْبَاتُ هَذَا الكِتَابِ الَّذِي مَضْمُونُهُ قَوْلُهُ: «إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي».

إثبات هذا الكتاب: يعني مِنَ الإيمان بالغيب الإيمان بهذا الكتاب الذي كتب الله فيه ما كتب؛ (**إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي**).

فَمِنْ عِلْمِ الغيب أنَّ عند الله كتابا كتبه، وأنَّه فوق العرش، وأنَّه كتب فيه على نفسه: (**إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي**).

فنستفيد مِنْ هذا الحديث وجوب الإيمان بهذا الكتاب.

التَّاسِعَةُ: أَنَّ هَذَا الكِتَابَ فَوْقَ العَرْشِ.

نَعَمْ، كذلك هذا تابع للمسألة التي قبلها؛ يعني مِنَ الإيمان بهذا الكتاب أنه فوق العرش، الإيمان بأنه فوق العرش، لا في أيدي الملائكة، لا؛ بل هو فوق العرش كما أخبر أَعْلَمُ الخَلْقِ بربِّه (ﷺ).

العَاشِرَةُ: إِثْبَاتُ صِفَةِ الرَّحْمَةِ.

---

(1) سورة النساء: ١٧١.

الرحمة مستفادة مِنْ آيات مُصَرِّحَة؛ ﴿وَرَبُّكَ الغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾[1]، ومستفادة مِنْ أسمائه المتضمنة؛ مثل: (الرَّحْمَنِ، الرَّحِيمِ)، كُلُّ اسم متضمن لصفة؛ فاسمه (الرَّحْمَنُ) واسمه (الرَّحِيمُ) يتضمنان إثبات صفة الرحمة.

وهذا الحديث فيه التصريح بلفظ الرحمة: (إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي).

والرحمة المضافة إلى الله نوعان:

نوْع هو صفة ، كما في هذا الحديث، ورحمة هي مخلوقة كما في الحديث الصحيح: «إِنَّ للهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ، أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ وَالبَهَائِمِ وَالهَوَامِّ؛ فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَدَّخَرَ اللهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[2]؛ مائة رحمة مخلوقة، ومِنَ الرحمة المخلوقة المطر، نقول: هذه رحمة الله، ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[3].

الحَادِيَةَ عَشَرَ: إِثْبَاتُ صِفَةِ الغَضَبِ.

نَعَمْ، الغضب، أدلة ذلك كثيرة في القرآن ؛ ﴿وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ﴾[4]، قالها في المنافقين والمشركين وفي بعض أهل المعاصي، ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ﴾[5]، جاء في الحديث: «مَنِ اقْتَطَعَ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ هُوَ فِيهَا كَاذِبٌ لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ»[6]؛ فهو تعالى يغضب كما شاء ويغضب كيف يشاء.

والمُعَطِّلَةُ -على مذهبهم- ما يقرُّون بشيء مِنْ هذا، يفسرون الغضب والرحمة بالأشياء المخلوقة، مثل الجَهْمِيَّة ومنهم الأشاعرة، الأشاعرة بحكم أنَّهم أقرب مِنْ غيرهم يفسرون الغضب بالأشياء المخلوقة، أو يفسرونها بالإرادة؛ لأنَّ مِنَ الصفات التي يثبتونها الإرادة، فمنهم مَنْ يقول: الغضب إرادة الانتقام والرحمة إرادة الإنعام.

---

(١) سورة الكهف: ٥٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب- باب جعل الله الرحمة مائة جزء (٦٠٠٠)، ومسلم في كتاب التوبة- باب في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه (٢٧٥٢) واللفظ له.

(٣) سورة الروم: ٥٠.

(٤) سورة النساء: ٩٣.

(٥) سورة النساء: ٩٣.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد- باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (٧٤٤٥)، من حديث عبد الله بن مسعود.

ومنهم مَنْ يفسر الغضب بأنَّه ما يخلقه الله مِنَ العقاب، مِنَ العقوبات، والرحمة ما يخلقه الله مِنَ النعم التي يرحم بها عباده؛ فيفسر الرحمة بأشياء مخلوقة ليست صفة قائمة بالرب تعالى.

الثَّانِيَةَ عَشَرَ: أَنَّ رَحْمَةَ اللهِ تَغْلِبُ غَضَبَهُ.

فَفِيهِ:

الثَّالِثَةَ عَشَرَ: أَنَّ رَحْمَتَهُ (عَزَّ وَجَلَّ) تَغْلِبُ غَضَبَهُ.

هَذَا الحديث صريح؛ يعني: نؤمن بأنَّ رحمة الله تغلب غضبه، صريح الحديث.

في بعض الألفاظ: «**إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي**».

والسَّبْق هذا نوع مِنَ الغلبة، (**سَبَقَتْ غَضَبِي**)، (**إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي**)، والرحمة والغضب كلاهما ممَّا أخبر الله به عن نفسه؛ أخبر برحمته بأوليائه وبعباده؛ ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا...**﴾[1]، أخبر بغضبه على المشركين والمنافقين كما تَقَدَّم.

وهذه الغلبة والسَّبْق مِنْ آثار سَبْق الرحمة وغلبة الرحمة للغضب – ما أخبر به سبحانه مِنْ أنه عفُوٌّ وأنَّه حليم وأنَّه مُحْسِن يحسن إلى عباده؛ فَمِنْ آثار غلبة الرحمة للغضب –مِنْ آثاره– ما يكون منه مِنَ العفو والمغفرة والإحسان والحِلْم، كُلُّ هذا مِنْ آثار سبْق الرحمة وغلبة الرحمة للغضب.

قَالَ: وَيَظْهَرُ أَثَرُ ذَلِكَ.....

ويظهر أَثَرُ ذلك، يعني: أَثَرُ الغلبة؛ غلبة الرحمة للغضب، يظهر أَثَرُ هذه الغلبة وهذا السَّبْق، نَعَمْ، ويظهر أَثَر ذلك.

وَيَظْهَرُ أَثَرُ ذَلِكَ بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ اسْمُهُ العَفُوُّ وَاسْمُهُ الغَفُورُ وَاسْمُهُ التَّوَّابُ مِنْ كَثْرَةِ عَفْوِهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَتَوْبَتِهِ.

هذه الأسماء كلها – يعني – تتضمن أَنَّه عفُوٌّ كثير العفو كثير المغفرة كثير التوبة، تواب، كُلُّ هذه المعاني ممَّا يكون منه سبحانه هو مِنْ آثار غلبة رحمته لغضبه.

الرَّابِعَةَ عَشَرَ: أَنَّ الرَّحْمَةَ تُقَابِلُ الغَضَبَ وَأَمَّا الرِّضَا فَيُقَابِلُ السَّخَطَ، كَمَا يَدُلُّ لِذَلِكَ آيَاتٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

---

(١) سورة الأعراف: ١٥٦.

﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَن بَاءَ بِسَخْطٍ مِّنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[1]، وَقَالَ (ﷺ): «أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ»[2].

الحديث فيه مقابلة الرحمة بالغضب: «إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي».

ونرى في القرآن؛ يعني وهذا التقابل، ما أذْكُر أنه جاء في القرآن مقابلة الغضب بالرحمة، لَكِنَّ الذي جاء هو مقابلة الرضا بالسخط؛ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾[3]، ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَن بَاءَ بِسَخْطٍ مِّنَ اللهِ﴾[4]، فالرحمة تقابل الغضب، والرضا يقابل السَّخط، هذا هو الذي نلاحظه في الآيات والأحاديث.

«أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ»: يعني هذا متطابق مع الفاظ القرآن، ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَن بَاءَ بِسَخْطٍ مِّنَ اللهِ﴾، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾[5]، فالمضطرد مقابلة الرضا بالسَّخَط، وفي هذا الحديث مقابلة الرحمة بالغضب؛ (إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي).

والشيء القريب والمشهور أنَّ الغضب -يعني- قريب مِنْ معناه، يعني نستطيع أنْ نقول: إنَّ الغضب والسَّخَط متقاربان في المعنى، ولَكِنْ لا بُدَّ أنَّ بينهما شيئا مِنَ الفَرْق.

الرضا في الحقيقة أبْلَغ مِنَ الرحمة، فيدل على أنَّ السَّخَط أشدُّ الغضب؛ لأنَّ الرضا... جاء في الحديث الصحيح أنَّ الله تعالى يقول: «يَا أَهْلَ الجَنَّةِ اسْأَلُونِي. فَيَقُولُ: مَا نَسْأَلُكَ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا وَأَعْطَيْتَنَا وَأَعْطَيْتَنَا مِنَ العَطَايَا؟!» فذكر في الحديث قال: «أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ أَبَدًا»[6].

بل مِنَ الدليل على أنَّ الرضوان فوق الرحمة، يعني مِنْ آثار الرحمة الجَنَّة، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾[7]، قال تعالى بعدها:

---

(١) سورة آل عمران: ١٦٢.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة- باب ما يقال في الركوع والسجود (٤٨٦).

(٣) سورة محمد: ٢٨.

(٤) سورة آل عمران: ١٦٢.

(٥) سورة محمد: ٢٨.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد – باب كلام الرب مع أهل الجنة (٧٥١٨)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها- باب إحلال الرِّضْوَانِ على أهل الجنة فلا يَسْخَطُ عليهم أبدًا (٢٨٢٩).

(٧) سورة التوبة: ٧٢.

﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾[1]، قال المفسرون: [رِضْوَانٌ مِنَ اللهِ رضوان أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ نَعِيمِ الجَنَّةِ]، ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾ رضوان مِنَ الله أكبر مِمَّا تَقَدَّم ذِكْرُه ومِمَّا وعَدَ الله به المؤمنين والمؤمنات.

يظهر مِنْ هذه المقابلات أنَّ الرضا -يعني- أعظم وأبْلَغ مِنَ الرحمة، وهذا يقتضي أنَّ السَّخَط أعظم وأَبْلَغ مِنْ مطلق الغضب.

لَكِنَّ الكفار لا ريْبَ أنَّ الله -يعني- غَضِبَ عليهم وسخط عليهم، ﴿تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي العَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾[2]، أمَّا العاصي كالقاتل فالآيات إنَّما فيها ذِكْرُ الغضب في حقه كقاتل ونحوه؛ فهذا يعني شيئا مِنَ الفَرْق المعنوي بَيْنَ الرحمة والرضا، والغضب والسَّخَط، وَذَكَرْتُ استطرادا فَرْقا لفظيا أو لغويا مِنْ حيث التعدي واللزوم مكتوبا عندكم، يقرؤه الأخ عَبْد الله ويكفي.

وَمِنَ الفُرُوقِ اللَّفْظِيَّةِ بَيْنَ الغَضَبِ وَالسَّخَطِ أَنَّ الغَضَبَ لَا يَأْتِي إِلَّا لَازِمًا....

الغضب لا يأتي إلَّا لازما، اللازم هو الذي لا ينصب المفعول به، لا تجد في اللغة (غَضِبَهُ)، ما فيه إلَّا (غَضِبَ عَلَيْهِ)، لا يأتي إلَّا لازما.

لَا يَأْتِي إِلَّا لَازِمًا مُعَدًّى بِـ (عَلَى).....

مُعَدًّى بـ (عَلَى): (غَضِبَ عَلَيْهِ).

وَ(سَخِطَ) يَأْتِي لَازِمًا.

يأتي لازما ومتعديا.

وَيُفَسَّرُ بِالغَضَبِ، تَقُولُ: (سَخِطَ عَلَيْهِ، وَغَضِبَ عَلَيْهِ).

وَيَأْتِي (سَخِطَ) مُتَعَدِّيًا، وَيُفَسَّرُ بِالكَرَاهَةِ وَالبُغْضِ، تَقُولُ: (سَخِطَ الطَّعَامَ).

(سَخِطَ الطَّعَامَ) يعني: كَرِهَه. (سَخِطْتُهُ، سَخِطَتْهُ).

وَكَذَلِكَ (رَضِيَ) يَأْتِي لَازِمًا وَمُتَعَدِّيًا، تَقُولُ: (رَضِيَهُ، وَرَضِيَ عَنْهُ).

---

(١) سورة التوبة: ٧٢.

(٢) سورة التوبة: ٨٠.

(رَضِيَهُ) و(رَضِيَ عَنْهُ)، ﴿رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾[1]، وفي الأعمال (رَضِيَهَا)، الله تعالى يرضَى لعباده الإيمان والشكر كما في الآية المذكورة.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾، ﴿وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الكُفْرَ﴾[2].

ولا يرضَى لعباده الكفر: الآن هذا متعدٍّ أم لازم؟

متعدٍّ، ﴿وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الكُفْرَ﴾.

﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[3].

﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾: الضمير مفعول به.

الخَامِسَةَ عَشَرَ: تَغْلِيبُ الرَّجَاءِ عَلَى الخَوْفِ.

تغليب الرجاء على الخوف: هذا مستفاد مِنْ أنَّ رحمته سبحانه وتعالى تغْلِبُ غضبه.

السَّادِسَةَ عَشَرَ: تَفَاضُلُ صِفَاتِ اللهِ.

تَفَاضُل صفات الله: هذه مسألة كبيرة عند أهل العلم وأهل الكلام.

هل صفات الله تتفاضل؟ هل القرآن يتفاضل؟

التحقيق: نَعَمْ، صفاته تتفاضل وكلامه يتفاضل، كما تَقَدَّمَ أنَّ سورة الإخلاص تَعْدِل ثلث القرآن وإنْ كان القرآن كله باعتبار أنه كلام اللهِ حُكْمُه واحد، ولَكِنْ باعتبار المضمون لا، يتفاضل، كما تقدَّمت الإشارة إلى هذا، هذا بالنسبة للقرآن.

وكذلك صفاته تعالى، فأسماؤه وصفاته المتضمنة للرحمة والإحسان هذه أفضل مِنَ الصفات التي تتضمن العقاب والغضب؛ ولهذا: (**إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي**)، (**إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي**)، ومِنَ التضاد الذي نبَّه عليه شيخ الإسلام -وهو ظاهر- أنه تعالى يقبض الأرض والسماوات، لكنَّه يقبض السماوات بيمينه ويكون المقسطون يوم القيامة عن يمينه، هذا فيه تنبيه على فَضْل يمينه سبحانه وتعالى عن اليد الأخرى، أو كما جاء في رواية: «**شِمَالِهِ**».

---

(١) سورة المائدة: ١١٩.

(٢) سورة الزمر: ٧.

(٣) سورة الزمر: ٧.

وفي القرآن: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[1]، فهل يجوز أنْ تقـول: إنَّ الله يأخذ الأرض بيمينه؟

لا، يأخذ السماوات بيمينه ويأخذ الأرض بيده الأخرى.

السَّابِعَةَ عَشَرَ: البِشَارَةُ لِلْمُذْنِبِينَ.

فيه بشارة، فيه بشارة للمذنبين، يوجب لهم أَلَّا يَيْأَسُوا مِنْ رحمة الله، وَلَا يَقْنَطُوا مِنْ رحمة الله؛ لأنَّ رحمته تعالى سَابِقَةٌ وَغَالِبَةٌ لِغَضَبِهِ.

الثَّامِنَةَ عَشَرَ: إِثْبَاتُ العِنْدِيَّةِ المَكَانِيَّةِ لله تَعَالَى.

العِنْدِيَّةُ، ومِنْ شواهدها **، وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ الأَشَاعِرَةِ وَنَحْوِهِمْ فيما وَافَقُوا فيه الجَهْمِيَّةَ وَالْمُعْتَزِلَـةَ، في هـذا الحديث رَدٌّ عليهم فيما تَضَمَّنَهُ مِنْ إثبات الصفات كَالرَّحْمَةِ والغضب والكتابة وَالاِسْتِوَاءِ وَالفَوْقِيَّـةِ عـلى العـرش وصفة النَّفْسِ، وما أَشْبه ذلك، انْتَهَى.

والله أعْلَم، وصلى اللهُ على نبينا محمد.

* * *

الأَسْئِلَةُ

السُّؤَالُ: لَفْظُ (ذَاتِ الله) هَلْ لَهُ أَصْلٌ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؟

الجَوَابُ: لا، لكِنَّه معنى حق، مثل: (مَوْجُودٍ)، هل في القرآن والسُّنَّة (اللهُ مَوْجُودٌ)؟!

اللهُ موجود أَكْمَلَ وُجُودٍ، اللهُ واجب الوجود، وُجُودُهُ واجب، ** على الحقيقة، له حقيقة؟ اللهُ لـه حقيقـة؟ نَعَمْ، له حقيقة، أَعْظَم الحقائق، لا إله إلَّا الله، اللهُ المُسْتَعَانُ، خَلَاصْ صارت الأمور البَدَهِيَّاتُ والأمور الحَقِيقِيَّاتُ بسبب ما ابْتَدَعَهُ المُبْتَدِعُونَ مَجَالًا لِلْخَوْضِ وَالتَّسَاؤُلَاتِ، سُبْحَانَ الذي مَنَّ عـلى أصـحاب رسـول الله والتـابعين لهم!! عَافَاهُمْ مِنْ هذه البدع التي أَوْجَدَتْ في المسلمين هذا الافتراق وهذه الحَـيْرة وهـذا الجـدل، سـبحان الله!! الحمد لله الذي عَافَانَا!! لا إله إلَّا الله، اللهُ المُسْتَعَانُ.

السُّؤَالُ: هَذَا الكِتَابُ الَّذِي كَتَبَ فِيهِ: «رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي» هَلْ هُوَ نَفْسُهُ اللَّوْحُ المَحْفُوظُ؟

---

(١) سورة الزمر: ٦٧.

الجَوَابُ: لا، هذا هو الظاهر، الظاهر أنه كتاب خاص.

السُّؤَالُ: أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ، مَا القَوْلُ الحَقُّ الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ فِي جِنْسِ المَخْلُوقَاتِ؟

الشَّيْخُ: في ماذا؟!

السَّائِلُ: فِي جِنْسِ المَخْلُوقَاتِ، وَمَا القَوْلُ الَّذِي يَصِحُّ نِسْبَتُهُ إِلَى شَيْخِ الإِسْلَامِ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ؟

الجَوَابُ: الحق أنَّ الله لَمْ يَزَلْ فَعَّالًا لِمَا يريد، ليس كما يقول المُتَكَلِّمُونَ: (إِنَّهُ كَانَ غَيْرَ فَاعِلٍ ثُمَّ صَارَ فَاعِلًا، وَكَانَ غَيْرَ قَادِرٍ ثُمَّ صَارَ قَادِرًا). هل هذا يجوز في العقل؟! إنَّ الله كان غَيْرَ قادر ثُمَّ صار قَادِرًا وغير فَاعِلٍ ثُمَّ صار فَاعِلًا؟!

سُبْحَانَكَ هذا بُهْتَانٌ عظيم!!

السُّؤَالُ: قَوْلُكُمْ: (الكِتَابَةُ الَّتِي تَكُونُ بِاليَدِ وَالقَلَمِ). هَلْ ثَبَتَ أَنَّهُ كَتَبَ بِقَلَمٍ جَلَّ فِي عُلَاهُ؟

الجَوَابُ: كَتَبَ بِالقَلَمِ، نَعَمْ، كَتَبَ، خَطَّ بِقَلَمٍ، خَلَقَ القَلَمَ، فِيهِ قَلَمٌ.

السُّؤَالُ: هَلْ يَجُوزُ تَكْفِيرُ المُعَيَّنِ مِنْ أَهْلِ البِدَعِ مِمَّنْ يَقُولُ بِالحُلُولِ؟

الجَوَابُ: لا، المُعَيَّن له شأن آخر.

السُّؤَالُ: وَهَلْ هُوَ مِنْ مَذْهَبِ الأَشَاعِرَةِ؟

الجَوَابُ: أَيْ نَعَمْ، هذا هو المشهور عندهم، ما يُثْبِتُونَ العُلُوَّ؛ عُلُوَّ الذات وأنَّه فوق السماوات، يقولون: (لَا؛ لِأَنَّ هَذَا يَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ). وَنَفْسُ الأشاعرة منهم مَنْ يقول: (إِنَّهُ لَا دَاخِلَ العَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ). كما صَرَّحَ به شَيْخُهُمُ الرازي، نَعَمْ.

السُّؤَالُ: هَذِهِ الفِرَقُ الثَّلَاثُ: (الجَهْمِيَّةُ، المُعْتَزِلَةُ، القَدَرِيَّةُ)؛ تَرْتِيبُهَا فِي الخَطَرِ؟!

الجَوَابُ: المعتزلة يختلفون عن الجَهْمِيَّة في باب القَدَرِ وَيُقَارِبُونَهُمْ جدا في باب الأسماء والصفات، نَعَمْ.

نختم بهذا السؤال:

السُّؤَالُ: يُوجَدُ فِي هَذِهِ الدَّوْرَةِ عَدَدٌ مِنَ القَادِمِينَ مِنَ الخَارِجِ؛ فَهَلْ مِنْ نَصِيحَةٍ تُعْطُونَهَا لَهُمْ فِي طَلَبِ العِلْمِ؟!

الجَوَابُ: اللهُ يُوَفِّقُنَا وَإِيَّاهُمْ، وَحُضُورُهُمْ مَعَنَا إِنْ شاء الله نَرْجُو أَنَّ الله يُوَفِّقُنَا وَإِيَّاهُمْ، وأَنْ يَسْتَفِيدُوا مِنْ هذه الدورة، وأن يَحْذَرُوا مِنَ التعصب لِمَذَاهِبَ لعلهم تَأَثَّرُوا بها في نَشْأَتِهِمْ وفي مَدَارِسِهِمْ، عليهم أنْ يَتَجَرَّدُوا مِنَ

التعصب لِلْمَذَاهِبِ وَلِمَذَاهِبِ الأَسْلَافِ أو مَذَاهِبِ الشُّيُوخِ؛ بل عليهم أنْ يَتَجَرَّدُوا لِفَهْمِ كلام الله وكلام رسوله، وأنْ يَتَحَقَّقُوا مِمَّا دَرَجَ عليه السلف الصالح مِنَ الصحابة والتابعين في هذه القضايا التي قد عَظُمَ فيها الاِضْطِرَابُ بَيْنَ فِرَقِ الأمَّة، وَاللهُ تعالى يقول: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[1]، فَمَنْ طَلَبَ الحق بِصِدْقٍ واجتهد في ذلك هداه اللهُ وَوَفَّقَهُ وَأَلْهَمَهُ وَفَتَحَ عليه.

* * *

(١) سورة العنكبوت: ٦٩.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

الحَدِيثُ الخَامِسُ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[1] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»[2].

الحمد لله، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله.

هذا حديث قدسي كما هو معروف؛ لأنَّه ممَّا يرويه النبي ﷺ عن ربه، (**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى**)، وهو مِنْ أحاديث الصفات، والقرآن والسُّنَّة نصوصها أنواع:

نصوص أحكام، ونصوص عقائد، ونصوص صفات، فإذا قلنا: نصوص الصفات، فإنَّها تشمل النصوص التي هي مِنَ القرآن مشتملة على صفاته سبحانه، كذلك الأحاديث، سواء كانت أحاديث قدسية، أو ممَّا يخبر به النبي ﷺ بابتداء ﷺ.

يقول الله: (**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**)، يعني: أنَّ الله تعالى يقول: أنا كما يظن عبدي، أنا عند ظنه، فإذا ظن العبد بربه أنَّه تعالى ينصره وييسِّر أموره، يعني إذا كان يحسن الظن بربه أنَّ الله يغفر له، ينصره، يُيَسِّر أموره، يكفيه شرَّ أعدائه – فالله تعالى يكون كذلك، ويحقق له ما يرجوه ويؤمله، ولَكِنْ لا بُدَّ مع حُسْن الظن بالله وصِدْق رجائه؛ لا بُدَّ مِنَ الأخذ بالأسباب، فحُسْنُ الظن الذي هو بمعنى الرجاء أو يتضمن الرجاء، مِنْ جِنْس التوكل على الله.

فالذي يرجو المغفرة ويرجو تيسير أموره وهو لَمْ يتعاطَ أسباب ذلك فهذه يقال لها: (أَمَانٍ، يَتَمَنَّى). والمراد بالعبد في قوله: (**عَبْدِي**). ظاهر من السياق أنه العبد الصالح، الذي مِنْ شأنه أنْ يتقرب إلى مولاه بما شَرَعَ له،

---

(١) هو: عبد الرحمن بن صخر الدوسي، الملقب بأبي هريرة: صحابي، كان أكثر الصحابة حفظًا للحديث وروايةً له. نشأ يتيمًا ضعيفًا في الجاهلية، وقدم المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر، فأسلم سنة ٧ هـ، ولزم صحبة النبي، فروى عنه ٥٣٧٤ حديثًا، وولي إمرة المدينة مدة. وكان أكثر مقامه في المدينة وتوفي فيها سنة ٥٩هـ. (تهذيب الكمال: ٣٤/ ٣٦٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات– باب التوبة (٧٤٠٥)، ومسلم في كتاب التوبة– باب في الحض على التوبة والفرح بها (٢٦٧٥).

فالتقرب به إليه.

الجملة الثانية (**وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي**): هذه معية خاصة، وموجبها ذِكْرُ العبد لربه، (وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي)، إذن ذِكْرُ العبد ربه مِنْ أسباب معيَّته تعالى له، والمَعِيَّة الخاصة تتضمن -يعني- الحفظ والتأييد والكفاية، (أَنَا مَعَهُ)، (مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي).

ثُمَّ قال سبحانه: (**فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ**)، يعني خاليًا عن الناس في الغيب لا في الشهادة، (ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ)، ليس المراد خصوص أنْ يذكره في قلبه دون أنْ يتكلم، لا، المراد: (ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ)؛ أيْ وَحْدَه منفردًا لا يسمعه أحد من الناس، كما في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظلِّه: «**وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**»[1]، (**فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي**).

(**وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ**)، ذكرني في ملأ مِنَ الناس وجماعة مِنَ الناس، كما يذكر العبد ربه في مواضع يقتضي أنْ يذكر ربه في الملأ، فهناك مقامات تقتضي أنْ يذكر الإنسان ربه عند الناس ومع الناس، كما في الذكر في إدبار الصلوات؛ فإنَّ العبد يذكر ربه ويُسْمِع غيره بعد الصلاة، فهناك مواضع يُشْرَع فيها الذكر وإنْ كان بحضرة الناس، المؤمن يذكر ربه خاليًا وشاهدا وحاضرًا مع الناس.

(**فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**): وذِكْرُ الله واجب، ذِكْرُه بالكلام، ذِكْرُه باللسان يكون بماذا؟ بالألفاظ الشرعية؛ (سُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله، سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ).

قال: (**وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ**)، تَقَرَّب إليه سبحانه وتعالى شبرًا، (**تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا**).

(**وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا**): (تَقَرَّبَ) هذا غير الذِّكْر، تقرُّب بأنواع القربات؛ مِنْ صلاة وصيام وصدقات وأمر بالمعروف ونَهْي عن المنكر، تَقَرُّب إلى الله، فِعْلُ هذه القربات بالإيمان الصادق يتضمن قُرْب العبد مِنْ ربه، والله يجزيه بقُرْب أكثر.

(**تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا**): وهذا شبر وذراع وما إلى ذلك، هذه لتصوير المعقول بالمحسوس،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحدود- باب فضل من ترك الفواحش (٦٨٠٦)، ومسلم في كتاب الزكاة- باب فضل إخفاء الصدقة (١٠٣١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

للتقريب.

(**وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي**)، معنى هذا يتضمن قُرْبًا أكثر، قُرْبًا ليس مقدَّرًا بمقدار شبر وذراع، لا، أتاني يمشي، قال: (**وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**)، فالحديث كله، هذه الجمل المتقابلة كلها تعبير عن تَقَرُّب العبد إلى ربه، وتَقَرُّب الرب إلى عبده، وأهل السُّنَّة والجماعة يؤمنون بأنَّ العبد يَقْرُب مِنْ ربه والله تعالى يَقْرُبُ مِنْ عبده، ثُمَّ القُرْبُ مِنَ الناس، القُرْبُ من الله، منهم مَنْ يقول: إنه نوعان: (قُرْبٌ عَامٌّ، وَقُرْبٌ خَاصٌّ)، ويجعل ذلك كالمَعِيَّة، والأظْهَر دليلًا أنه ليس فيه أنَّ القُرْب الذي وصف الله به نفسه كما في قوله: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾[1]، ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾[2]، إنه القُرْب الخاص، «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»[3]، لا إله إلّا الله لا حول ولا قوة إلّا بالله، وأمَّا المعطِّلَة فإنهم يَخْبِطُون ويُحَرِّفُونَ كما هي عادتهم في كُلِّ نصوص الصفات التي تخالف مذهبهم واعتقادهم.

فعندهم مَنْ يقول بالحُلُول، ما فيه قُرْبٌ، الله بذاته في كُلِّ مكان!! لا يَقْرُب مِنْ هذا ولا هذا مِنْ هذا، وليس بعض المخلوقات أقْرَب إلى الله!! الملائكة كما تَقَدَّم في التعليق على مِثْلِ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾[4]، ما فيه عندهم، كلهم، كُلُّ الخَلْقِ عند الله؛ لأَنَّ الله حالٌّ فيهم، حالٌّ في كُلِّ مكان، سبحانك هذا بُهْتَان عظيم!! أعوذ بالله!! فالباطل يُوَلِّد باطلًا، الاعتقادات الباطلة تُوَلِّد اعتقادات باطلة أخرى، فروع الباطل باطلة وفروع الحق حق.

قال: هذا حديث قدسي يرويه النبي ﷺ عن ربه، وهو حديث عظيم يتضمن أمورًا جليلة مِنْ شأن الرب سبحانه، وهو مِنْ أحاديث الصفات، لاشتماله على جملة مِنْ صفاته تعالى، وتُذْكَرُ في الفوائد، وفي الحديث فوائد، منها:

أَوَّلًا: إِثْبَاتُ كَلَامِ اللهِ تَعَالَى.

---

(١) سورة البقرة: ١٨٦.

(٢) سورة هود: ٦١.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد- باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير (٢٩٩٢)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء- باب استحباب خفض الصوت والذكر (٢٧٠٤)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ٤٠٢) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، واللفظ لأحمد.

(٤) سورة الأعراف: ٢٠٦.

يقول: كُلُّ حديث فيه: (قَالَ اللهُ) – فهذا فيه إثبات الكلام لله، (إِنَّ اللهَ يَقُولُ)، (قَالَ)، وَ(يَقُولُ)، والآيات في إثبات كلام الله وفي إثبات القول –الآيات والأحاديث– لا تُحْصَى، لَكِنْ مُجَرَّد يعني وإِنْ كان مِثْل هذه بدهيَّة ومفروغا منها وأدلتها لا حَصْرَ لها، لَكِنْ لمناسبة عد فوائد، نقول: مِنْ فوائد إثبات القول لله تعالى، يقول الرسول يخبر عن ربه يقول: (**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى**)، هذا فيه الإخبار بأنَّ الله قال.

كما يدل له في الحديث: (يَقُولُ اللهُ).

الثَّانِي: إِنَّ اللهَ لَيُحَقِّقُ مَا يَظُنُّهُ بِهِ عَبْدُهُ الْمُؤْمِنُ.

(**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ**)، إنَّ الله يحقق ما يظنه به عبده المؤمن.. نَعَمْ، (**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ**)، هذا أسلوب معروف، أسلوب في اللغة العربية، تقول: أنا عند ظنك. يعني: أنا كما تظن بي، والظن بالله نوعين:

ظن بالمؤمنين، وهو الظن الحَسَن وحُسْن الظن.

والمنافقون والكافرون والجاهلون يظنون به ظن الجاهلية، يظنون به غير الحق، يظنون به ما لا يليق به سبحانه، مِثْل الذي قال: والله لا يغفر الله، هذا مِنْ سوء الظن بالله، والله لا يغفر الله لفلان.

وهذا معنى: (**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**).

الثَّالِثَةُ: الإِرْشَادُ إِلَى حُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ، وَهُوَ ظَنُّ مَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالتَّوْبَةِ وَمُضَاعَفَةِ الأَجْرِ وَالنَّصْرِ لِلْمُؤْمِنِينَ، مِمَّا يَدْعُو إِلَى رَجَائِهِ سُبْحَانَهُ وَدُعَائِهِ.

ما فيه شك أنَّ قوله سبحانه: (**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**). يقتضي من المؤمن ومِنْ عموم المؤمنين حُسْن الظن بالله –يعني– فيما يتعلق بالإنسان في شخصه، وفيما يتعلق بالمسلمين، فنحن مع هذا الواقع المرير في حال المسلمين، مع ذلك نظن بالله أنَّ الله سبحانه ينصر المؤمنين، ويكشف البلاء، ويُخْزي الكافرين، كما هو شأنه سبحانه.

الرَّابِعَةُ: إِثْبَاتُ مَعِيَّةِ اللهِ لِعَبْدِهِ الذَّاكِرِ لَهُ تَعَالَى، وَهِيَ مِنَ الْمَعِيَّةِ الْخَاصَّةِ.

نَعَمْ.. سَبَق التنبيه عليها.. واضح، وأنا معه إذا ذكَرَني.

الْخَامِسَةُ: التَّرْغِيبُ فِي ذِكْرِ اللهِ سِرًّا وَعَلَنًا، وَذِكْرُ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ بِتَسْبِيحِهِ وَتَحْمِيدِهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَتَكْبِيرِهِ، وَتَمْجِيدِهِ.

يعني: قوله: (فَإِنْ ذَكَرَنِي)، (وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي)... إلى آخره – فيه الترغيب فيه، فيه ترغيب؛ لأنَّ هذا مطلب عظيم، يعني: مطلب للعبد أنْ يذكره ربه، هذا أمْرٌ عظيم لا يَقْدِر قَدْرَه إلّا الله، إنَّ الله العظيم سبحانه وتعالى يَذْكُر

عبْدَه فلانًا، يسميه كما سيأتي، «إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ»[1]، فيه الترغيب في ذِكْر الله سِرًّا وعَلَنًا، يعني: تذكره خاليًا وتذكره حاضرا مع الناس، والجَهْر بالذِّكر تارة يكون مشروعا أنْ تجهر، الجهر بالأذان، والجهر في إدبار الصلوات، والجهر بالتلبية، والجهر في التعليم، والاستسرار وإخفاء العمل أيضًا له جانب، يعني البُعْد عن الرياء، وهو أحرى وأقْرَب إلى الإخلاص؛ أنْ يذكر الإنسان في نفسه، حتى وإن كان بَيْنَ الناس، لَكِنْ يمكن أنْ يذكر به ولا يدري عنه أحد، يذكر ربه بلسانه ولا يدري عنه.

السَّادِسَةُ: أَنَّ اللهَ يَذْكُرُ مَنْ ذَكَرَهُ، وَذِكْرُ اللهِ لِعَبْدِهِ يَتَضَمَّنُ ثَنَاءَهُ عَلَيْهِ وَمَحَبَّتَهُ.

نَعَمْ، الحديث صريح في أنَّ الله يذكر مَنْ ذَكَرَه، ومِنَ الدليل على هذا مِنَ القرآن: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[2]، فالآية والحديث كلاهما دليل على أنَّ الله يذكر مَنْ ذَكَرَه، وفي هذا الحديث تفصيل أنَّ العبد إذا ذَكَر ربه سِرًّا وفي نفسه ذَكَرَه الله في نفسه، وإذا ذَكَرَه بَيْنَ الناس ومع الناس فالله يَذْكُر عبده عند الملائكة، وهذا أمْر عظيم، يَذْكُر الله تعالى عبده كما دَلَّتْ عليه الآية ودلَّ عليه الحديث.

السَّابِعَةُ: أَنَّ الجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ، وَيَشْهَدُ لِهَذَا الحَدِيثِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ فِي الحَدِيثِ ذِكْرُهُ التَّقَرُّبَ.

أنَّ الجزاء مِنْ جِنْس العمل، هذا شواهده وأدلَّته لا تُحْصَى، في الخير والشر الجزاء مِنْ جِنْس العمل، يعني: هذا المعنى ظاهر في الجزاءات الشرعية والجزاءات الأُخْرَوِيَّة والكونيَّة، الجزاء مِنْ جِنْس العمل، شواهد هذا لا تُحْصَى، ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾[3]، ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[4]، فالجزاء مِنْ جِنْس العمل، يكون في الخير والشر، ومِنْ شواهده الآية والحديث، فالجزاء مِنْ عَمَلٍ، (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ)، (فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي...) الحديث.

الثَّامِنَةُ: أَنَّ ذِكْرَ اللهِ لِعَبْدِهِ يَكُونُ بِالكَلَامِ الَّذِي يُسْمِعُهُ اللهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ، بِقَوْلِهِ: (ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب- باب المقت من الله تعالى (٦٠٤٠)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب- باب إذا أحب الله عبدًا حببه إلى عباده (٢٦٣٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سورة البقرة: ١٥٢.

(٣) سورة الرحمن: ٦٠.

(٤) سورة الشورى: ٤٠.

مِنْهُمْ). وَيَشْهَدُ لِهَذَا الحَدِيثُ الصَّحِيحُ: «إِذَا أَحَبَّ اللهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: يَا جِبْرِيلُ، إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ....»[1] الحَدِيث.

أيضًا مِنْ فوائد هذا الحديث: أنَّ الله يَذْكُر عبده بالكلام ثناء على هذا العبد، يثني عليه سبحانه وتعالى كيف شاء، وشاهده الحديث المذكور، الكلام صريح في أنَّ الله إذا أحب عبدا نادى جبريل وقال: [إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ]. هذا مِنْ ثنائه، مِنْ ثنائه أنْ يخبر سبحانه وتعالى ملائكته بأنه يحب فلانًا، ويأْمُرهم بمحبَّته، هذا مِنْ أعظم ما يكون به ذِكْرُه سبحانه وتعالى لعبده.

التَّاسِعَةُ: إِثْبَاتُ التَّقَرُّبِ مِنَ العَبْدِ لِرَبِّهِ وَمِنَ الرَّبِّ لِعَبْدِهِ.

هذا صريح مِنَ الحديث، تَقَرُّب العبد مِنْ ربه، (وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ)، وتَقَرُّب الرب لعبده، (تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا)، (وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا)، ففي هذه الجُمَل كلها أيضًا شاهد لِمَا تَقَدَّم منها، وسَبَق التنبيه على أنها أيضًا مِنْ شواهد القاعدة أنَّ الجزاء مِنْ جِنْس العمل، فالله تعالى يقابل أو يجزي عبده على تَقَرُّبه إليه بتَقَرُّبه إليه سبحانه، ويزيده فوق تَقَرُّبه، (وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا)، وأهل السُّنَّة والجماعة يثبتون قُرْب العبد وتَقَرُّبه إلى ربه، وقُرْب الرب وتَقَرُّبه مِنْ عبده، قد يُقَرَّب هذا ويُشَبَّه بأنه سبحانه ينزل إلى السماء الدنيا إِذَنْ فيه قُرْب، يدعو في هذا النزول عباده أنْ يسألوه وأنْ يستغفروه، وأنْ يتوبوا إليه: «مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»[2]، كُلُّ ذلك يجب أنْ يجري على القاعدة، يعني: تَقَرُّب الله وقربه يكون بمشيئته، فالتَّقَرُّب صفة فعلية، التَّقَرُّب مِنَ الله لعبده صفة فعلية، مثلما نقول في النزول: إنه صفة فعلية. يكون بمشيئته سبحانه وتعالى.

العَاشِرَةُ: إِثْبَاتُ القُرْبِ مِنَ اللهِ لِعَبْدِهِ، وَمِنْ أَسْمَائِهِ سُبْحَانَهُ القَرِيبُ المُجِيبُ، قَالَ تَعَالَى عَنْ نَبِيِّهِ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾[3]، وَالقَوْلُ فِي قُرْبِهِ سُبْحَانَهُ كَالقَوْلِ فِي سَائِرِ صِفَاتِهِ عَزَّ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب- باب المقت من الله تعالى (٦٠٤٠)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب- باب إذا أحب الله عبدًا حببه إلى عباده (٢٦٣٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة- باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل (١١٤٥)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه (٧٥٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) سورة هود: ٦١.

وَجَلَّ، وَهُوَ الإِثْبَاتُ مَعَ نَفْيِ التَّمْثِيلِ وَنَفْيِ العِلْمِ بِالكَيْفِيَّةِ.

هذا ينبغي التَّنَبُّه له في كُلِّ موقف، أنَّ قُرْبه سبحانه القول فيه كالقول في سائر الصفات، إثبات وإيمان، مع نفْي مماثلة المخلوقات، فليس قُرْبه مِنْ عبده كَقُرْب المخلوق للمخلوق، كما هو الشأن في عِلْمه وقُدْرته ونزوله واستوائه، إثبات مع نَفْي التمثيل ونَفْي العِلْم بالكيفية، فليس لأحد أنْ يقول: كيف يَقْرُب؟ هذا سؤال باطل رَدَّهُ أهل العِلْم كالإمام مالك، والسؤال عنه بِدْعة، وقال لذاك السائل: ولا أراك إلَّا رَجُل سُوءٍ. فأمر به فأُخْرِج، هذا تكلُّف وتنطُّع.

الحَادِيَةَ عَشَرَ: تَفَاضُلُ القُرْبِ وَالتَّقَرُّبِ مِنَ اللهِ لِعَبْدِهِ.

هذه واضحة، التفاضل في قُرْب الرب تعالى وتَقَرُّبه ظاهر، (**تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا**)، (**تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا**)، التفاضل في هذا ظاهر.

الثَّانِيَةَ عَشَرَ: تَفَاضُلُ القُرْبِ وَالتَّقَرُّبِ مِنَ العَبْدِ لِرَبِّهِ.

كذلك، يعني: هذا كله صريح في الحديث، التفاضل في قُرْب الرب وتَقَرُّبه، وفي قُرْب العبد وتَقَرُّبه مِنْ ربه.

الثَّالِثَةَ عَشَرَ: تَقْرِيبُ المَعَانِي بِذِكْرِ الأَشْيَاءِ المَحْسُوسَةِ، كَالشِّبْرِ وَالذِّرَاعِ وَالبَاعِ.

(شِبْرًا)، وَ(ذِرَاعًا)، وَ(بَاعًا).

الرَّابِعَةَ عَشَرَ: إِثْبَاتُ الهَرْوَلَةِ للهِ تَعَالَى بِالمَعْنَى الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ السِّيَاقُ، وَهُوَ زِيَادَةُ القُرْبِ وَالتَّقَرُّبِ؛ إِذْ لَيْسَ المُرَادُ بِالهَرْوَلَةِ الَّتِي تُقْصَدُ لِقَطْعِ المَسَافَةِ، وَهِيَ مِنَ المَخْلُوقِ سُرْعَةُ الجَرْيِ عَلَى الأَقْدَامِ.

الهَرْوَلة هي إذا قالوا: هَرْوَل فلان. معروفة، هي زيادة في الجَرْي وفي السيْر، أمَّا الهَرْوَلة فجاءت في الحديث في سِيَاق محدد ولَافِظٍ، لَافِظٍ في فَهْم دلالات الألفاظ، دلالات الكلام بمراعاة السياق، الحديث ليس في مقام ذِكْر السيْر، سَيْرٌ سريع وسَيْرٌ بطيء، لا، المقام مقام تَقَرُّب وجزاء، تماما يعني لَمَّا ذَكَر: (**وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا**)، قال: (**وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي**)، هو مِنْ (تَقَرَّبَ إِلَيَّ)؛ يعني: مِنْ نَوْع المشي والسيْر، لكنه في العمل سينقلب، تَقَرَّب، (**أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**)، هذا يتضمن أنَّ المقصود زيادة التَّقَرُّب مِنَ الله تعالى، فَذَكَر حالتين: (**تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا**)، الثالثة: (**أَتَانِي يَمْشِي**)، قال: (**أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**)، ولا مجال للخيال وكيف وكيف، هذا -يعني- واضح مِنَ السياق أنَّ المراد زيادة التقرُّب جزاء على تقرُّب العبد مِنْ ربه، وليس المراد

الهَرْوَلة أو المشي الذي يُقْصَد لقَطْع المسافة والله أعْلَم.

الحَدِيثُ السَّادِسُ: وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[1] أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضعف»[2].

هذا حديث قدسي أيضا، وهذا الحديث جاء بألفاظ، لَكِنَّ مدارها ومعناها واحد، مضمون هذا الحديث أنَّ الله يقول للملائكة المُوَكَّلين بكتابة الأعمال ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾[3]، أنَّ الله يقول لملائكته - يعني انظر: إذا هَمَّ عبدي بسيِّئة فَلَمْ يعملها فلا تكتبوها، فإنْ تركها مِنْ أجلي فاكتبوها له واحدة، يعني: مَنْ هَمَّ - فَكَّر - بأنْ يفعل سيِّئة ولكنه تراجع، ولا تَرَكَها لله، لكنه -يعني- لَمْ يتوفَّر عنده العزم - فهذا لا تُكْتَب له لا حسنة ولا سيِّئة، لَكِنْ إنْ تَرَكَها لله -ذَكَر الله وأنَّ في هذا معصية لربه وخاف مِنْ عقابه- فإنها تُكْتَب له حسنة، كما في اللفظ الآخر: «إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّائِي»[4] أيْ: مِنْ أجلي.

(فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا له سيئة): هذه سيِّئة إنْ عَمِلها فاكتبوها عليه سيِّئة واحدة.

وإنْ هَمَّ بحسنة فَلَمْ يعملها فاكتبوها له حسنة واحدة، **(فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ)**.

وشواهد هذا الحديث في القرآن، شواهده ظاهرة في القرآن، أكثر ما يطابق هذا الحديث قوله تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا﴾[5]، ومَرَدُّ هذا كله مَرَدُّ الجزاء، يعني: جزاؤه سبحانه وتعالى قائم على الفضل والعدل، فهو يجزي الصالحين بفضله، ويجزي العاصين بعدله، أو يعفو سبحانه وتعالى.

قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ قُدُسِيٌّ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الفَوَائِدِ المُتَعَلِّقَةِ بِأَفْعَالِ المُكَلَّفِينَ، وَيَشْهَدُ لِمَعْنَاهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَن جَاءَ

---

(١) هو: عبد الرحمن بن صخر الدوسي، الملقب بأبي هريرة: صحابي، كان أكثر الصحابة حفظًا للحديث وروايةً له. نشأ يتيمًا ضعيفًا في الجاهلية، وقدم المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر، فأسلم سنة ٧ هـ، ولزم صحبة النبي، فروى عنه ٥٣٧٤ حديثًا، وولي إمرة المدينة مدة. وكان أكثر مقامه في المدينة وتوفي فيها سنة ٥٩هـ. (تهذيب الكمال: ٣٤/ ٣٦٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد- باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ﴾ (٧٥٠١)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب إذا هَمَّ الْعَبْدُ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ، وإذا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ (١٢٨-١٣٠).

(٣) سورة الانفطار: ١٠، ١١.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان- باب إذا هَمَّ الْعَبْدُ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ، وإذا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ (١٢٩).

(٥) سورة الأنعام: ١٦٠.

بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[1].

وَمِنَ الفَوَائِدِ:

أَوَّلًا: إِثْبَاتُ القَوْلِ لله تَعَالَى.

الثَّانِيَةُ: إِثْبَاتُ العُبُودِيَّةِ الخَاصَّةِ، وَهِيَ عُبُودِيَّةُ المُؤْمِنِ.

إثبات القول: مثلما تَقَدَّم في الحديث السابق.

العبودية الخاصة: العبودية تنقسم، العبودية المضافة للعباد نوعان: عبودية عامة؛ وهي التي يشترك فيها البَرُّ والفاجر، ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾[2]، فالكفار عبيد الله.

والعبودية الخاصة المذكورة في مِثْل قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾[3]، لَكِنَّ العبودية العامة تُتَرْجَم بالْمُعَبَّد، عبد بمعنى مُعَبَّد عبودية قهرية، وأمَّا العبودية الخاصة فتُتَرْجَم بأنه عابد بمعنى عابد اختيارًا وبقصد، فالعبودية الخاصة تتضمن العبادة، أمَّا العبودية الخاصة فلا تتضمن عبادة، والعبودية العامة ليس فيها فضيلة ولا شَرَف؛ لأنها عامة يشترك فيها كُلُّ أحد، وأمَّا العبودية الخاصة فهي مَنَاط العِلْم والشرف، وأصحاب العبودية الخاصة يتفاضلون فيها تفاضلًا لا يَعْلَمه إلّا الله، وأكْمَل الخَلْق عبودية هو محمد ﷺ، ولهذا وصفه الله بالعبد في مواضع عديدة: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾[4]، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾[5].

الثَّالِثَةُ: الرَّدُّ عَلَى الجَبْرِيَّةِ؛ لِقَوْلِهِ: (أَرَادَ)، (يَعْمَلَ).

الرد على الجبرية، الجبرية يقولون: العبد لا فِعْل له ولا إرادة ولا قدرة، ما هو إلّا -يعني أفعاله- كحركة المُرْتَعِش وحركة الريشة في مَهَبِّ الريح، والحديث والآيات في هذا الدالة على بُطْلان مذهبهم ظاهرة، والحِسُّ كذلك شاهد، فقوله: (إِذَا أَرَادَ عَبْدِي) إذَنْ له إرادة، (أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً)، إذَنْ (أَنْ يَعْمَلَ) هذا فيه إضافة العمل للعبد، والنصوص الدالة على إضافة الإرادة والفعل والعمل للعباد لا تُحْصَى.

---

(١) سورة الأنعام: ١٦٠.

(٢) سورة مريم: ٩٣.

(٣) سورة الفرقان: ٦٣.

(٤) سورة البقرة: ٢٣.

(٥) سورة الإسراء: ١.

الرَّابِعَةُ: إِحْصَاءُ أَعْمَالِ العِبَادِ.

إحصاؤها بكتابتها: ﴿أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ﴾[1]، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَاماً كَاتِبِينَ﴾[2]، ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[3].

الخَامِسَةُ: أَنَّ اللهَ وَكَّلَ بِهِ مَلَائِكَةً يَكْتُبُونَ حَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ.

هذا مستفاد مِنَ الحديث ومِنَ الآية الكريمة والآيات، وَكَّلَ بالعباد ملائكة يكتبون الحسنات والسيئات ويُحْصُونها، فهذا ممَّا يجب الإيمان به، يعني: مِنَ الإيمان بالملائكة الإيمان بالكِرَام الكاتبين، يعني أنَّ الملائكة أصناف باعتبار ما وُكِّلُوا فيه، فمنهم المُوَكَّلُون، منهم المُوَكَّلُ بقَبْضِ روح العالَمِينَ كمَلَك الموت وَمَنْ معه، والمُوَكَّل بالوحي كجبريل، والمُوَكَّل بكتابة الأعمال.... إلى آخره.

وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ القُرْآنُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَاماً كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[4].

السَّادِسَةُ: أَنَّ هَؤُلَاءِ المَلَائِكَةَ يَعْلَمُونَ كُلَّ مَا يَعْمَلُ العَبْدُ حَتَّى إِرَادَاتِهِ الَّتِي فِي قَلْبِهِ وَهَمَّاتِهِ.

الله أكبر!! الحديث يدل إذا أراد، في بعضها (**إِذَا هَمَّ العَبْدُ**)، (هَمَّ) ففيه دليل على أنَّ الملائكة يعلمون ما في نفس العبد مِنَ الإرادات والهِمَّات، يعلمونها فيكتبون إراداته للخير أو للشر، وهذا يُسْتَفَاد أيضا مِنْ عموم قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

السَّابِعَةُ: أَنَّ مَنْ أَرَادَ فِعْلَ حَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَتْهَا المَلَائِكَةُ حَسَنَةً وَاحِدَةً.

هذا نعمة، نَفْسُ نية الخير فيها خير، إذا هَمَّ الإنسان بفِعْل خير وكَسِل عن فعله يُكْتَب له أجر هذه النية وهذا التفكير؛ لأنه فَكَّر في خير.

الثَّامِنَةُ: أَنَّ العَبْدَ إِذَا عَمِلَ الحَسَنَةَ الَّتِي هَمَّ بِهَا كُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ.

إذا هَمَّ بالحسنة وَعَمِل الحسنة -حقَّق ما نَوَى، حقَّق ما أراد، حقَّق ما هَمَّ به- الحمد لله؛ تُكْتَب له وتُضَاعَف،

---

(١) سورة المجادلة: ٦.

(٢) سورة الانفطار: ١٠، ١١.

(٣) سورة ق: ١٨.

(٤) سورة الانفطار: ١٠-١٢.

أَقَلُّ تضعيف عَشْرٌ، هذا كما يقال: -الحدُّ الأدنى- أَقَلُّ ما يُكْتَب له عَشْر حسنات، ولَكِنْ ما يقف الأمر إلى هذا، إلى أكثر، إلى عشرين، إلى ثلاثين، إلى مائة، إلى مائتين، إلى سبعمائة ضِعْف، إلى أضعاف أيضا، وهذا يختلف، عوامل المضاعفة كثيرة، يعني: عوامل المضاعفة ما يقوم بالقلب مِنَ النية والإخلاص وكمال الإيمان وكذا ومجالات الحسنات؛ لأنَّ للحسنات مجالاتها تختلف، ولهذا جاء التنويه بشيء في القرآن في نوع هذا المقام، ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾[1]، يعني أكثر مِنْ ذلك، هذا في الإنفاق في سبيل الله، في الجهاد في سبيل الله، هذا أبرز ما يكون، ﴿وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ﴾[2].

التَّاسِعَةُ: أَنَّ العَبْدَ إِذا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً.

يعني فَلَمْ يعملها، لو أُضِيف: (فَلَمْ يَعْمَلْهَا مِنْ أَجْلِ الله) حتى يستقيم الكلام مع الذي بعده!!

العَاشِرَةُ: أَنَّهُ إِنْ تَرَكَهَا لَا لله بَلْ لِفُتُورِ هِمَّتِهِ لَمْ تُكْتَبْ لَهُ حَسَنَةً وَلَا سَيِّئَةً.

الحمد لله، يربح السلامة، السلامة غنيمة.

الحَادِيَةَ عَشَرَ: أَنَّهُ إِنْ عَمِلَ السَّيِّئَةَ الَّتِي هَمَّ بِهَا كُتِبَتْ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً.

نَعَمْ .. ﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[3].

الثَّانِيَةَ عَشَرَ: أَنَّ جَزَاءَ اللهِ عَلَى الحَسَنَاتِ مَبْنِيٌّ عَلَى الفَضْلِ، وَعَلَى السَّيِّئَاتِ مَبْنِيٌّ عَلَى العَدْلِ.

أنَّ جزاء الله على الحسنات مبنيٌّ على الفضل والزيادة والمضاعفة، ومِنْ أسمائه الشَّكور، يجزي على العمل القليل الجزاء الكثير.

نَعَمْ، على العدل، وهو الجزاء بالمثل أو يعفو.

الثَّالِثَةَ عَشَرَ: أَنَّ المَلَائِكَةَ مُؤْتَمَرُونَ بِأَمْرِ اللهِ فِيمَا يَكْتُبُونَ وَفِيمَا يَتْرُكُونَ.

الله أكبر!! يعني: الملائكة المُوَكَّلُون بكتابة الأعمال ليس الأمر إليهم يكتبون، إنما يكتبون ما يكتبون بأمره سبحانه وتعالى، هو الذي كلَّفهم ووكَّلهم بكتابة أعمال العباد، فَهُمْ مؤتمرون بأمر الله، ﴿لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ

---

(١) سورة البقرة: ٢٦١.

(٢) سورة التوبة: ١٢١.

(٣) سورة الأنعام: ١٦٠.

﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، الملائكة هذا شأنهم كلهم، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤْمَرُون، لا يسبقونه بالقول وهُمْ بأمره يعملون.

الرَّابِعَةَ عَشَرَ: التَّرْغِيبُ فِي فِعْلِ الحَسَنَاتِ وَفِي تَرْكِ السَّيِّئَاتِ.

نَعَمْ، لا شك أنَّ هذا الحديث فيه ترغيب في فِعْل الحسنات، يدل له المضاعفة، وهذه المضاعفة الكثيرة في هذا ترغيب وحَثٌّ على فِعْل الحسنات، يعني: لو الإنسان اعتبر هذا بما يسعى إليه التجار مِنَ الأرباح وهذه السُّوق التي يربحون فيها كثيرًا ويتسابقون إليها والسِّلع التي يعلمون أنها مربحة ويسارعون إلى شرائها - فمضاعفة الربح مِنَ المُغْرِيَات.

الخَامِسَةَ عَشَرَ: أَنَّ المُرَادَ بِالحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ فِي الحَدِيثِ حَسَنَاتُ الأَعْمَالِ وَسَيِّئَاتُهَا، وَالمُرَادُ بِالحَسَنَاتِ كُلُّ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ وُجُوبًا أَوِ اسْتِحْبَابًا، وَالمُرَادُ بِالسَّيِّئَاتِ كُلُّ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ صَغَائِرِ الذُّنُوبِ وَكَبَائِرِهَا.

في هذا إشارة إلى أنَّ الحسنات الواردة في القرآن مثلًا نوعان: حسنات الأعمال؛ مِثْلُ: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾، ﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾، وحسنات الجزاء أنْ يعمل العقوبات ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾[1] اسمها سيئات الجزاء وحسنات الجزاء، وفيها دليل أنَّ المراد بالحسنات في الحديث هي حسنات الأعمال وسيئاتها، وحسنات الأعمال: كُلُّ ما أمَرَ الله به ورسوله أمْر وجوب أو استحباب، والسيئات: كُلُّ ما حَرَّمه الله ورسوله مِنَ الأعمال والأقوال، هذه السيئات.

السَّادِسَةَ عَشَرَ: أَنَّ المُعَوَّلَ فِي الأَعْمَالِ عَلَى النِّيَّةِ، كَمَا فِي الحَدِيثِ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»[2].

أيضًا مِنْ فوائد هذا الحديث اعتبار النية في العمل، والنية في العمل مراده الإخلاص، (**إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّائِي**)، فمَنْ ترَك السيئة مِنْ أجل الله -خوفًا مِنَ الله- وجبتْ له حسنة، وكذلك في الحقيقة مُعْتبَر هذا في فِعْل الحسنات أنْ يعملها لله، فمَنْ فَعَلَ الحسنات لله استحقَّ هذا الجزاء، أمَّا مَنْ فعَلَها لغَيْرِ ذلك فله أحكام مختلفة، قد تكون الحسنات سيئات بفساد النية، وهو كثير، نعوذ بالله!! وقد تكون العادات حسنات بحُسْن النية، فالنية لها تأثير كبير

---

(١) سورة الأعراف: ١٦٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي- باب بدء الوحي (١)، ومسلم في كتاب الإمارة- باب قوله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ**» (١٩٠٧).

في العمل صلاحًا وفسادًا، «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»[1].

***

الأَسْئِلَةُ

السُّؤَالُ: مَا المُرَادُ بِقُرْبِ العَبْدِ مِنْ رَبِّهِ؟ هَلْ هُوَ قُرْبٌ حَقِيقِيٌّ أَوْ مَعْنَوِيٌّ؟

الجَوَابُ: ما هو الحقيقي وما هو المعنوي؟! حقيقي أنه رَاحَ للسماء؟! هكذا، ما هو في ذهنك؟ أولا فَسِّرْ لنا الحقيقي في ذهنك.

وإذا قلنا: إنه معنوي. فهو قُرْب حقيقي، حقيقي بالمعنى الذي يقتضيه المقام.

السُّؤَالُ: كَيْفَ نُمَيِّزُ بَيْنَ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةِ وَالصِّفَاتِ الفِعْلِيَّةِ؟

الجَوَابُ: الضابط معروف، ما تتعلق به المشيئة فهو مِنَ الصفات الفعلية، إذا قلتُ: هل يجوز أنْ تقول: إنَّ الله يعلم إذا شاء؟ يجوز؟ يعلم إذا شاء؟! إذَنِ العِلْم صفة ذاتية، يسمع إذا شاء؟! قُلْ؛ أجيبوا؟! طيب؛ تقول: إنه تعالى ينزل إذا شاء؟ إذَنْ صفة فعلية، استوى على العرش حين شاء، يغضب إذا شاء، صفات فعلية.

السُّؤَالُ: المُتَصَوِّفَةُ يَسْتَدِلُّونَ بِالحَدِيثِ الخَامِسِ عَلَى جَوَازِ الذِّكْرِ الجَمَاعِيِّ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ؛ نَرْجُو تَوْضِيحَ ذَلِكَ؟

الجَوَابُ: النصوص يفسِّر بعضها بعضًا، فالذكر الجماعي لَمْ يكن مِنْ فِعْلِ الصحابة ولا التابعين ولا تابعيهم إلّا في مواضع مُعَيَّنة، والذِّكْر الجماعي إذا كان بصوت واحد هذا لا يُعْرَف مِنْ فِعْلِهم، فهَدْيُ الرسول وهَدْيُ الصحابة هو الذي يفسِّر المجملات في النصوص.

السُّؤَالُ: هَلْ حَدِيثُ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»[2]، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذِكْرَ العَلَنِ أَفْضَلُ مِنْ ذِكْرِ اللهِ سِرًّا؟

الجَوَابُ: قد يكون الذِّكْر في بعض المواضع عَلَنًا قد يكون أفضل، في بعض المواضع يمكن أنْ تذْكُر ربك حتى تُذَكِّر الآخرين، ممكن أنْ يصير فيه أنْ تكسب زيادة، أنْ تكون متسببا في ذِكْر الآخرين لربهم.

السُّؤَالُ: القَوْلُ بِأَنَّ الهَرْوَلَةَ زِيَادَةُ القُرْبِ وَالتَّقَرُّبِ، أَلَيْسَ هَذَا تَأَوُّلٌ لِلصِّفَةِ؟

---

(١) ما قبله.

(٢) تقدم تخريجه.

الجَوَابُ: لا والله، ما هو تأويل؛ بل هو تفسير للكلام فيما يقتضيه سياقه، لا بُدَّ مِنْ مراعاة السياق، أبدا، هو إجراء للكلام على ظاهره وعلى ما يقتضيه السياق، والذي لا يراعي السياق يَضِلُّ في فَهْم الكلام، كلام الله وكلام رسوله وكلام الناس أيضا.

السُّؤَالُ: هَلِ الصِّفَاتُ الذَّاتِيَّةُ أَكْثَرُ مِنَ الصِّفَاتِ الفِعْلِيَّةِ؟

الجَوَابُ: لا أدري.

السُّؤَالُ: جَاءَ فِي الحَدِيثِ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ». إِلَى قَوْلِهِ: «كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا»[1].

الجَوَابُ: يعني أنْ تكون أعضاؤه محكومة بشرع الله وبمراد الله؛ فلا يسمع ولا يبصر ولا ينظر ولا يمشي- إلّا على هُدًى مِنَ الله، وكُلُّ أصحاب الحُلُول والاتحاد يستدلون بهذا الحديث، بَدَهِيٌّ كُلُّ عاقل مؤمن بالله يعلم أنْ ليس المراد أنَّ الله بذاته يصير عَيْنًا لهذا الإنسان أو رِجْلًا له، هذا غباء في الفَهْم، هذا غباء أو بُنَاءً على اعتقاد فاسد.

السُّؤَالُ: قَوْلُهُ فِي الحَدِيثِ: «فَإِذَا زَارَهُ وَجَدَنِي عِنْدَهُ»[2]، فِي فَضْلِ زِيَارَةِ المَرِيضِ؟

الجَوَابُ: هذه زيارتك للعبد الصالح، والله مع عباده الصالحين، يعني هذا يدل على معيَّة الله لعبده المريض المؤمن، المريض ، وجدتني عنده، فإذا كان الله مع عبده المريض، عبده الصالح؛ فمَنْ عاده يعني نال ما شاء الله مِنْ هذه المعيَّة، لوجدتني عنده.

السُّؤَالُ: فِي الحَدِيثِ: «إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً»[3]، بَعْضُ الفِرَقِ تَحْتَجُّ بِالقَدَرِ بِأَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ: فَعَلْتُ هَذِهِ السَّيِّئَةَ بِقَدَرِ الله. وَبَعْضُ الفِرَقِ تَقُولُ: إِنَّ المَخْلُوقَ مُسَيَّرٌ بِذَلِكَ. نَرْجُو تَبْيِينَ ذَلِكَ؟

الجَوَابُ: هذه قضية كبيرة، الكُلُّ بِقَدَر الله، والعبد له قدرة ومشيئة، هذا خلاصة الكلام، أمَّا مُسَيَّرٌ ومُخَيَّرٌ هذه ما لها أصل، عبارة مُسَيَّرٍ ومُخَيَّرٍ هذا كلام لا أصل له في كلام الله وكلام رسوله، تقول: للعبد مشيئة؟ نَعَمْ، له قدرة؟ نَعَمْ، طيِّبْ؛ أفعاله مخلوقة لله؟ نَعَمْ، بِقَدَر الله؟ نَعَمْ، ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ﴾[4].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق- باب التواضع (٦٥٠٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب- باب فضل عيادة المريض (٢٥٦٩).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) سورة الإنسان: ٣٠.

السُّؤَالُ: هَلْ مَا فِي نَفْسِ العَبْدِ مِنَ الغَيْبِ؟ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَكَيْفَ تَعْلَمُ المَلَائِكَةُ الغَيْبَ؟

الجَوَابُ: لا، ما هو مِنَ الغيب المطلق، ليس مِنَ الغيب، غَيْبٌ بالنسبة للناس، لا يعلمون ما في النفوس، والملائكة يطلعون على ما يطلعهم الله عليه، مِنَ الله، يعني: إنسان سيريد أنْ يفعل، سيريد، افْهَمْ معنى سيريد، سيريد أنْ يفعل، الملائكة تعلم أنه سيريد؟ ما تعلم حتى يريد.

السُّؤَالُ: مَا مَعْنَى كَلِمَةِ الإِمَامِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللهُ فِي أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ: أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ؟

الجَوَابُ: أيْ والله أَمِرُّوهَا، هذه كلمة للإمام أحمد وغيره، أَمِرُّوهَا يعني أجْرُوها على ظاهرها مؤمنين بها مثبتين لِمَا تدل عليه بلا كيف، يعني: لا تُحَرِّفُوها وتفسِّروها بخلاف ظاهرها.

السُّؤَالُ: مَا كَفَّارَةُ الغَيْبَةِ أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ؟

الجَوَابُ: التوبة إلى الله، والدعاء للمظلوم المغتاب، إلّا إذا كان عَلِمَ أنك اغتبته فتَحَلَّل منه، إذا كان قد عَلِمَ بأنك اغتبته فتَحَلَّل منه، أمَّا إذا كان لا يعلم فلا، يعني: أحْسِن إليه بالدعاء، ومِنْ أنواع الإحسان ما لعلّه يكون مقابلًا لإساءتك إليه.

السُّؤَالُ: إِذَا هَمَّ بِمَعْصِيَةٍ فِي البَلَدِ الحَرَامِ وَلَمْ يَعْمَلْهَا هَلْ تُكْتَبُ لَهُ سَيِّئَةً؟

الجَوَابُ: ذَكَر أهل العِلْم هذا مِنْ قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾[1]، أنَّ الهَمَّ في الحرم يُكْتَبُ على العبد، وأنَّ هذا مِنْ عِظَم حُرْمَة الحَرَم.

السُّؤَالُ: فِي حَدِيثِ اقْتِتَالِ الرَّجُلَيْنِ قَدْ جَاءَ فِي حَدِيثٍ أَنَّ رُجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ كِلَاهُمَا فِي النَّارِ، فَسُئِلَ عَنِ المَقْتُولِ فَقَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ»[2]، فَهَلْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا أَنَّ مَنْ عَزَمَ عَلَى سَيِّئَةٍ فَإِنَّهَا تُكْتَبُ لَهُ؟

الجَوَابُ: نَعَمْ، عَزَم لكنه ما استطاع، يعني: هو عازم على أنْ يقتل الآخر، لكنه سبَقَه ذاك فقتله، ولهذا يقول أهل العِلْم في الحسنات والسيئات: إنَّ مَنْ همَّ بحسنة وفَعَل ما يستطيع تُكْتَب له حسنة تامة، يعني: هو بمنزلة الفاعل يصبح؛ لأنه هَمَّ وفَعَل ما يَقْدِر عليه، وكذلك في العكس في السيئات، واحد رَاحَ يبحث عن عمل مُحَرَّم وحاول وطَرَق الأسباب وعَجَز، هذا فاعل.

---

(١) سورة الحج: ٢٥.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان- باب ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ (٣١)، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة- باب إذا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا (٢٨٨٨).

السُّؤَالُ: مَا أَسْبَابُ مُضَاعَفَةِ الحَسَنَاتِ مِنْ عَشْرٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ؟

الجَوَابُ: هذا قلته وأشَرْت إليه، كمال الإخلاص ومجالات العمل.

السُّؤَالُ: رَأَيْنَا بَعْضَ النِّسَاءِ يَنْظُرْنَ إِلَى المَقَابِرِ مِنْ خَلْفِ سُورِ المَقْبَرَةِ، وَهَذَا يَتَكَرَّرُ كَثِيرًا.

الجَوَابُ: هذا ليس بزيارة.

السُّؤَالُ: فَاتَ مَا يُقَارِبُ العِشْرِينَ سَنَةً مِنْ عُمُرِي وَأُرِيدُ أَنْ أَطْلُبَ العِلْمَ، فَهَلْ فَاتَتِ السُّنُونُ الذَّهَبِيَّةُ أَمْ هُنَاكَ مَجَالٌ؟ وَمَا نَصَائِحُكُمْ؟

الجَوَابُ: لالا، الذهبية -إنْ شاء الله- أمامك.

والله تعالى أعْلَم.

* * *

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قَالَ الـمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

الحَدِيثُ السَّابِعُ:

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[1] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا -وَرُبَّمَا قَالَ أَذْنَبَ ذَنْبًا- فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ -وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَبْتُ- فَاغْفِرْ فَقَالَ رَبُّهُ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي. ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا، أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ - أَوْ أَصَبْتُ - آخَرَ، فَاغْفِرْهُ. فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي. ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا، وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَابَ ذَنْبًا، فقَالَ: رَبِّ أَصَبْتُ -أَوْ قَالَ أَذْنَبْتُ- آخَرَ، فَاغْفِرْهُ لِي. فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الـذَّنْبَ وَيَأْخُـذُ بِـهِ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي -ثَلاَثًا- فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ»[2].

الحمد لله، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

هذا كالأحاديث السابقة، مِنْ حيث إنه حديث قدسي، يرويه النبي ﷺ، يرويه عن ربه. ومضمون هذا الحديث أنَّ فيه خبرًا عن عبد مِنْ عباد الله الصالحين، التوابين، أنه أصاب ذنبًا، أو أذنب ذنبًا، والمعنى واحد، أصاب ذنبًا أو أذنب ذنبًا. لَكِنْ مِنَ العناية بضبط اللفظ إذا شك الراوي في اللفظ، وإنْ كان اللفظ الآخر مرادفًا، فإنه لكمال الاحتراز والعناية بضبط اللفظ، يأتي باللفظ وإنْ كان مرادفًا: (**أَصَابَ ذَنْبًا** أو أَذْنَبَ ذَنْبًا). فقال: (**اللَّهُمَّ أَصَبْتُ ذَنْبًا** أَوْ قَالَ: أَذْنَبَ ذَنْبًا **فَاغْفِرْه لِي**)، إذا هو استغفر مِنْ ذنبه. قوله: (**اغْفِرْ لِي**) هو استغفار. والاستغفار يكون بصيغ كثيرة، أظْهَرُهَا أنْ تقول: اللهم اغفر لي. أو تقول: أستغفر الله، أو تقول: اللهم إني ظلمت نفسي ظلما

---

(١) هو: عبد الرحمن بن صخر الدوسي، الملقب بأبي هريرة: صحابي، كان أكثر الصحابة حفظًا للحديث وروايةً له. نشأ يتيمًا ضعيفًا في الجاهلية، وقدم المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر، فأسلم سنة ٧ هـ، ولزم صحبة النبي، فروى عنه ٥٣٧٤ حديثًا، وولي إمرة المدينة مدة. وكان أكثر مقامه في المدينة وتوفي فيها سنة ٥٩ هـ. (تهذيب الكمال: ٣٤/ ٣٦٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد- باب قول الله تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلاَمَ اللهِ**﴾ (٧٥٠٧)، ومسلم في كتاب التوبة- باب قَبُولِ التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ وَإِنْ تَكَرَّرَتِ الذُّنُوبُ وَالتَّوْبَةُ (٢٧٥٨).

كثيرا، فاغفره لي. قال الله: «أَعَلِمَ عَبْدِي»[1]، في بعض الروايات: «عَلِمَ عَبْدِي»[2]، و لا خلاف بينهم. «أَعَلِمَ»: هذا تقرير وليس استفهاما مِنَ الله: هل عَلِم عبدي، والله يعلم ما في النفسِ، هذا استفهام تقريري، تضمن أن هذا العبد إنما استغفر لعلمه أنَّ له ربا يغفر الذنب ويأخذ به. (أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ)، هو الله تعالى، وهذا تابع لمشيئته، فيغفر الذنب لِمَن شاء، ويأخذ بالذنب مَنْ شاء، فمَرَدُّ الأمر إلى مشيئته وإلى حكمته. فلا يقال: لماذا يغفر لهذا ولا يغفر لهذا؟ هو أعلم بمواضع فضله ومواضع عَدْله.

(عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا)، (إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي): فغفر له بعلمه أنَّ له ربا يغفر الذنب ويأخذ به. عِلْمه بربه وحُسْن ظنه بربه، لولا حُسْن ظنه بربه ما قال: «رَبِّ أَصَبْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ لِي»، فهذا ناشئ مِنْ عِلْمه بربه وحُسْن ظنه بربه، فغفر الله له.

ثُمَّ مرَّة أخرى أصاب ذنبًا، ووقَع في الذنب مرة ، بعد هذا الاستغفار، فقال مِثْل ما قال في الأوَّل: (رَبِّ إِنِّي أَصَبْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ اللهُ: عَلِمَ عَبْدِي –أَوْ: أَعَلِمَ عَبْدِي– أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ)، مرتين يستغفر فيغفر له، لعِلْمه بربه وحُسْن ظنه بربه.

ومرَّة ثالثة، كذلك يعتذر إلى ربه يقول: (أَصَبْتُ آخَرَ)، أَصَبْتُ ذنبا آخر سوى ما تَقَدَّم، مرَّة ثالثة، فيكون الجواب مِنْ ربه كما سبَق منه سبحانه، (عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ)، ثُمَّ قال: (فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ)، أيْ فليعمل ما شاء، يعني أنه كلَّما أذنب واستغفر فالله يغفر له ، كلما اذنب!

وسيأتي في الفوائد أنَّ قوله: (فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ) ليس إباحة، كقوله تعالى لأهل بَدْر: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»[3]، فهذا مِثْله، «لِيَعْمَلْ مَا شَاءَ»، إذا كان كلَّما أذنب استغفر، فالله يغفر له.

وهذا مِنْ أعظم الأحاديث الدالة على الرجاء، والحذر مِنَ اليأس والقنوط مِنْ رحمة الله، ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[4]، إذا عَلِم العبد أنَّ ربه غفور، رحيم، كريم، تواب، فإنه لا يقنط، فالقنوط يقطع عليه طريق التوبة؛ لأنه يسيء الظن بربه مِنْ وجه،

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد– باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ﴾ (٧٥٠٧).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٩٧)، وقال شعيب الأرنؤوط: «حسن لغيره».

(٣) أخرجه البيهقي في «سننه» (٤٦/ ١٢٤).

(٤) سورة الزمر: ٥٣.

ويستحسر ولا يستغفر، فيقع في ذنب أعظم، ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾[1]. فالإنسان مهما أذنب فلا يقنط، لَكِنْ ليس معنى أنه لا يقنط أنْ يتمادي، عليه أنْ يتوب وأنْ يستغفر وأنْ يراجع، هذا إنما غفر الله له بعِلْمه بربه، وحُسْن ظنه بربه، واستغفاره لربه، وتضرعه إليه.

فهذا مِنْ أحاديث الرجاء - الأحاديث التي تبعث على الرجاء - وتقطع الطريق على الشيطان، فإنَّ الشيطان مِنْ مكائده للإنسان أنْ يُقَنِّطه مِنْ رحمة الله.

قال: هذا حديث قدسي عظيم، وهو مِنْ أعظم الأدلة على فَضْل الاستغفار، وعظيم كرم الرب، وما تضمَّنه الحديث يفسِّر اسمه تعالى الغفور والغفَّار، ويوجب حُسْن الظن بالله، وإعظام الرجاء له.

الله مِنْ أسمائه الغفور، وهي صيغة تدل على الكثرة، بل مِنْ أسمائه الغفَّار، فهو كثير المغفرة للمذنبين، وكثير المغفرة لذنوب المذنبين، ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾، إلى قوله: ﴿إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[2]، الله كثيرًا ما يمتدح عباده ويأمر عباده بالاستغفار، ويُذَكِّرهم بمغفرته، ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[3]، استغفروه، واطلبوا منه المغفرة، فإنه غفور.

لهذا قال أهل العِلْم: إنَّ دعاء العبد لربه - دعاؤه بأنواع الدعاء وأنواع المطالب - مِنَ الاستغفار وغيره، أو الاستنصار، أو طلب الرزق أو الولد، يدل على جملة مِنْ صفاته سبحانه، يدل على أنَّ الله غفور، فإذا كان العبد يقول: أستغفر الله، أو يقول: اللهم اغفر لي، فهذا يدل على أنَّ العبد يعتقد أنَّ ربه غفور، وهو كذلك. ويعتقد أيضًا أنَّ ربه يسمع، إذ لو كان لا يعتقد ذلك لَمَا دعا؛ لأنَّ الأصمَّ لا يُدْعَى. وكذلك يعلم ويعتقد أنَّ ربه كريم، وأنه غني، وأنه قادر؛ فالداعي والسائل لا يسأل عاجزًا ولا عديمًا مُعْدَمًا. فالدعاء يتضمن الإيمان بكثير مِنْ معاني الصفات - صفات الله - مِثْل المغفرة أو الرزق أو النصر، حَسَب المطلوب، أنه تعالى يسمع، أنه كريم، أنه جوَّاد، أنه غني، أنه قادر، أنه رحيم سبحانه وتعالى. وجاء في الحديث التنبيه على هذا المعنى، وهو عِلْم العبد بأنَّ الله غفور. فإذا دعوت وقلتَ: اللهم ارزقني، هذا يتضمن أنك تعلم أنَّ الله رزَّاق، وأنَّ أمْر الرزق إليه، بحَسَب مَنْ

(١) سورة الحجر: ٥٦.

(٢) سورة الزمر: ٥٣.

(٣) سورة المزمل: ٢٠.

يستنصر بالله – يسأل ربه النصر – يعلم أنَّ الله نصير، وأنه قادر على النصر. وهذا مقتضى هذا الدعاء: أنَّ العبد يعلم أنَّ الله مِنْ شأنه ذلك مِنَ الرزق والنصر وهبة الهبات على اختلاف مطالب العباد، بيده الخير، وبيده الملك.

الفَوَائِدُ:

وَفِي الحَدِيثِ فَوَائِدُ، مِنْهَا:

أَوَّلًا: أَنَّ مِنَ الغَيْبِ الَّذِي يُطْلِعُ اللهُ عَلَيْهِ نَبِيَّهُ ﷺ، مَا يَكُونُ مِنْ بَعْضِ العِبَادِ مِنْ أَحْوَالٍ وَآمَالٍ.

فالرسول ﷺ أخبر عن هذا العبد، إخبارًا بشيء واقع، أنَّ عبدا مِنْ عباد الله حصل له هذا الأمر، وحصلت له هذه المواقف، وحصل منه ما حصل مِنْ إصابة بعض الذنوب، وحصل منه التوجُّه إلى ربه، وما مَنَّ الله به عليه مِنَ المغفرة، فهذا مِنْ عِلْم الغيب.

ورسولنا ﷺ يخبر عن أمور واقعة مِنْ أحوال البشر، يخبر بها النبى فتكون. مثلا أخبار بني إسرائيل، ومنها ما أخبر به النبي ﷺ مثل قصة الثلاثة الأقرع والأبرص والأعمى، فهذه القصة و خبر نبوي، ولكنه مِنَ الإخبار عن الأمم الماضية، «كَانَ ثَلَاثَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ... إِلَى آخِرِهِ»[1]. لَكِنْ لا نقول عن هذا: حديث إسرائيلي؛ لأنه لو قلنا حديث إسرائيلي أو خبر إسرائيلي، يسبق إلى الذهن أنه مِنَ الأخبار الإسرائيلية التي لا تُصَدَّقُ ولا تكذب، وما أشْبَه ذلك، لكنها خبر عن المعصوم ﷺ. وما كان في مضمونه مِنْ أخبار بني إسرائيل من أخبارهم لكنه ليس مِنْ إِخْبَارِهِم، فهذا الذي لا يُصَدَّقُ ولا يُكَذَّبُ أخبارهم التي يخبرون بها أما أخبارهم التي هي نفس الأخبار فإن منها ما يخبرون به هم –أهل الكتاب–، بل في القرآن ما أخبر به عن بني إسرائيل؛ قصة البقرة، فهي مِنْ أخبار بني إسرائيل، يعني ممَّا أخبر الله به عن بني إسرائيل، وهذا الحديث ممَّا أخبر الله به عن بعض مَنْ مضى مِنْ بني إسرائيل أو غيرهم.

الثَّانِيَةُ: إِثْبَاتُ العُبُودِيَّةِ الخَاصَّةِ.

وهذا مِثْل ما تَقَدَّم، «**أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللهِ**»، – العبودية الخاصة –، وذَكَرْتُ لكم أنَّ العبودية المضافة إلى الله مِثْل: عباد الله، أو هذا عبد لله، فإنها تكون على نوعين:

---

(١) بلفظ: «**إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى**» أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء– باب حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل (٣٤٦٤)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦٤).

عبودية عامة، يشترك فيها كُلُّ أحد؛ الملائكة والأنبياء وسائر البَشَر والجن والإنس كلهم، ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾[1]، هذه عامة وليس فيها تشريف؛ لأنها عبودية قهرية. وقلت لكم العبد في العبودية العامة بمعنى مُعَبَّدٍ.

والعبودية خاصة، وهي التي لا تضاف إلّا لبعض الناس، لبعض الخَلْق كالملائكة، فالملائكة عباد مُكْرَمون. أيُّ نوعي العبودية؟ الخاصة. عباد مُكْرَمون. ومِنْ شواهدها: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾[2]، وأنَّ الناس فيها على مراتب. و(العَبْدُ) مِنَ العبودية الخاصة، بمعنى عابد، إذًا فهي عبودية اختيارية، لا عبودية قهرية، فالعبد في هذا الحديث مِنَ العبودية بمعنى العبودية الخاصة.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ العَبْدَ الصَّالِحَ قَدْ يُبْتَلَى بِبَعْضِ الذُّنُوبِ، لَكِنْ لَا يُصِرُّ عَلَيْهَا.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ المُؤْمِنَ مَهْمَا بَلَغَ فِي الصَّلَاحِ فَلَيْسَ بِمَعْصُومٍ.

هذا واضح الدلالة على أنَّ العبد الصالح يمكن أنْ يبتلى بالذنب، لكنه لا يصرُّ- على الذنب، ويتمادى، ويستخفُّ بالذنب، بل يتوب إلى ربه ويُنيب، ويستغفر، هذا هو شأن العبد الصالح. وهذا ينتج أنَّ العبد الصالح ليس بمعصوم، فالذنوب تجوز على الصالحين، كما نبَّه أهل العِلْم مِنْ أهل السُّنَّة والجماعة على أنَّ الصحابة رضوان الله عليهم مع فضلهم، لا يعتقدون في واحد منهم أنه معصوم مِنْ كبائر الذنوب وصغائرها، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة. وهذه عبارة لابن تيمية: بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، وإنما العصمة للرسل صلوات الله وسلامه عليهم، وعصْمَتُهم فيما يُبَلِّغونه عن الله، وهذا أمْر قطْعي مُجْمَع عليه، ويختلف النَاس في عصمتهم مِنَ الذنوب قَبْل البعثة وبعدها... إلى آخره.

والذي دَلَّتْ عليه النصوص أنَّ نوعًا مِنَ الذنوب أو شيئا مِنَ الذنوب تجوز على الأنبياء، ولها شواهد، والقائلون بالعصمة مِنَ الذنوب كلها كبائرها وصغائرها يتأوَّلون هذه النصوص. ومِنَ الشواهد التي يَذْكُرها أهل العِلْم في الدلالة على هذا، ما جرى في أمْر أُسارَى بَدْر: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾[3]، كذلك قوله سبحانه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا

(١) سورة مريم: ٩٣.

(٢) سورة الفرقان: ٦٣.

(٣) سورة الأنفال: ٦٧.

يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾[١]، ولَـمَّا لَعَن النبي ﷺ فلانًا وفلانًا أنزل الله عليه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[٢]، ولهذا قال أهل العِلْم: إنَّ الرسول ﷺ لا يُقَرُّ على خطأ، حتى ولو اجتهد في أمْر وأخطأ فيه، فإنَّ الله يهديه إلى الحق الصواب، ولا يُقِرُّه على خطأ ﷺ.

[الثَّالِثَةُ: أَنَّ العَبْدَ الصَّالِحَ قَدْ يُبْتَلَى بِبَعْضِ الذُّنُوبِ لَكِنْ لَا يُصِرُّ عَلَيْهَا][٣].

قوله سبحانه وتعالى في المتقين: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٤]، هذه صفة للمتقين، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٥]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[٦].

[الرَّابِعَةُ: أَنَّ المُؤْمِنَ مَهْمَا بَلَغَ فِي الصَّلَاحِ فَلَيْسَ بِمَعْصُومٍ][٧].

الخَامِسَةُ: أَنَّ اقْتِرَافَ الذَّنْبِ يُوجِبُ التَّوْبَةَ وَالاسْتِغْفَارَ.

يجب على مَنْ وقَع في ذنب أنْ يتوب ويستغفر، ولا يتراخى في ذلك، فاقتراف الذنب يوجب -أيْ يقتضي- التوبة والاستغفار، والله تعالى أوجب على عباده التوبة، ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾[٨]، قال ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، فَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»، أو كما قال ﷺ[٩].

---

(١) سورة عبس: ١ - ٤.

(٢) سورة آل عمران: ١٢٨.

(٣) الشيخ هو الذي طلب إعادة الفائدة.

(٤) سورة آل عمران: ١٣٣ ، ١٣٤.

(٥) سورة آل عمران: ١٣٥.

(٦) سورة الأعراف: ٢٠١.

(٧) الشيخ هو الذي طلب إعادة الفائدة.

(٨) سورة الزمر: ٥٤.

(٩) بلفظ: «يَاأَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللهِ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ مِائَةَ مَرَّةٍ» أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار- باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه (٢٧٠٢).

وبلفظ: «وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً» أخرجه البخاري في كتاب الدعوات- باب استغفار النبي صلى الله

السَّادِسَةُ: فَضْلُ العِلْمِ بِاللهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

العِلْم بالله وأسمائه وصفاته له آثار، فالعِلْم بأسماء الله وصفاته يُعَبِّر عنها الإيمان بأسماء الله وصفاته، وله آثار. عِلْمُك بأنَّ الله شديد العقاب ما آثاره؟ الحَذَر مِنَ التعرض لعقابه والخوف منه، ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1]. علمك بأنه غفور رحيم يوجب لك ألّا تقنط، وتستغفر وتتوب وتنيب، وتُحْسِن الظن بالله. عِلْمُك بأنَّ الله هو الرزاق يجعلك لا تتعلق بالأسباب، فتفعل الأسباب ولَكِنْ لا يعتمد قلبك عليها، بل يتعلق قلبك بالله. وتَأْمُل الرزق مِنَ الله، وإذا طَرَقْتَ وفَعَلْتَ الأسباب ولَمْ يتهيأ لك المطلوب، ترجع إلى الإيمان بالله، وإلى الإيمان بقَدَر الله، ولا تَقُلْ: فَعَلْتُ ولَمْ أكُنْ كذا، ولو أنِّي فَعَلْتُ كذا لكان كذا، ولَكِنْ تقول: «قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ»[2]، هذا قَدَرٌ، ما شاء الله لا قوة إلّا بالله. وأيضًا العِلْم بقَدَر الله وبأنَّ هذه النِّعَم مِنَ الله، فعلْمُك بهذا يجعلك لا تفرح وتغترُّ ولا تعتمد أنَّ هذا حصل لك بحولك وقوتك، كما قال قارون: ﴿قال إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾[3]، يفخر بعِلْمه ، هذا لأني أنا، عندي خِبْرة وعندي كذا،، وهذا ما يقع لكثير مِنَ الناس. فالعلم بأسماء الله و صفاته ، فأسماؤه تعالى أنواع، وكُلُّ اسم وصفة لها آثار، ولهذا تجد تذييل الآيات في القرآن بذِكْر بعض أسماء الله وصفاته يأتي مناسبًا لسياق الكلام، تذييل الآية بما يناسب موضوعها من أسماء الله تعالى.

السَّابِعَةُ: فَضْلُ الاسْتِغْفَارِ، فَإِنْ كَانَ مَعَ تَوْبَةٍ كَانَتِ المَغْفِرَةُ مُحَقَّقَةً، وَإِنْ كَانَ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ، لَكِنْ مَعَ الصِّدْقِ فِي طَلَبِ المَغْفِرَةِ، فَذَلِكَ إِلَى اللهِ؛ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لِعَبْدِهِ وَإِنْ شَاءَ أَخَذَهُ بِذَنْبِهِ.

وفي هذا الحديث دليل على فضل الاستغفار، وفضل الاستغفار أدلته كثيرة، فالله أمَر به وأثنى على المستغفرين، ومِنْ هَدْيه ﷺ كثرة الاستغفار، وكان يلْهَج بالتوبة: اللهم اغفر لي وتُبْ عليَّ إنك أنت التواب الغفور. وكان كثير الاستغفار، فإذا قُلْتَ: اللهم اغفر لي وتُبْ عليَّ، فليكن هذا الاستغفار نابعًا مِنْ قلبك وجار على لسانك، ما هو استغفار باللسان فقط، لا، بل لابُدَّ أنْ ينبعث منك.

والاستغفار هو طلبُ المغفرة، وطلبُ المغفرة يكون بألفاظ كثيرة، فقد جاء عن النبي ﷺ لَمَّا قال له أبو بكر

عليه وسلم (٦٣٠٧).

(١) سورة المائدة: ٩٨.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب القدر- باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة (٢٦٦٤).

(٣) سورة القصص: ٧٨.

رضي الله عنه: عَلِّمْني دعاء أدعوا به في صلاتي، قال: «قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ـ ظُلْمًا كَثِيرًا، وَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ»[1]. وكان مِن استغفارات النبي ﷺ أنه يقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبِي كُلَّهُ، دِقَّهُ وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ خَطَئِي وَعَمْدِي وَهَزْلِي وَجِدِّي وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ»[2]، وألفاظ مِنْ هذا القبيل، وهذا فيه تنويع واستشعار، (**اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ**)، ذنوب تكون بالتقديم والتأخير والتغيير، وتكون سِرًّا وتكون علنًا، فهي أنواع مِنَ الذنوب.

فضْل الاستغفار: هذا العبد غفر الله له في كُلِّ مرَّة باستغفاره بقوله: (**اللَّهُمَّ قَدْ أَصَبْتُ ذَنْبًا** – أَوْ: أَذْنَبْتُ ذَنْبًا – **فَاغْفِرْهُ لِي**). لَكِنْ هنا تفصيل، فإنْ كان الاستغفار مقرونا بالتوبة، وبالندم على ما مضى، والعزم على ألّا يعود، ومقاطعة الذنب وأسبابه، فالمغفرة محققة، وقَطْعًا مَنْ تاب تاب الله عليه، ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾[3]. أمَّا إذا كان الاستغفار صادقا، لَكِنْ لَمْ يصل إلى درجة التوبة، فهذا الاستغفار سبب مِنْ أسباب المغفرة، ولكنه ليس بمضمون، فالدعاء قد يُسْتَجَاب وقد لا يستجاب، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[4]، فالمشرك لو استغفر ربه طول عمره ما غفر الله له، لَكِنَّ الذنوب الأخرى هي التي تكون تحت المشيئة، وقد تُكَفَّر بأسباب كثيرة، ومنها الاستغفار، كما ذَكَر العلماء في مُكَفِّرَات الذنوب، أنَّ المُكَفِّرَات مِنْ أعظمها وأبْلَغِهَا التوبة، ويلي التوبة الاستغفار. والله قَرَن بَيْنَ التوبة والاستغفار في آيات كثيرة، وذَكَر ذلك عن الأنبياء، وقال: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٢) وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا﴾[5]، الآية، فلا بُدَّ مِنَ التنبه لهذا.

فهذا العبد الله أعْلَم بحاله، هل كان استغفاره متضمنًا للتوبة أو لَمْ يكن، الله أعْلَم، لَكِنْ عَلِمْنا أنه استغفر وأنَّ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات- باب الدعاء في الصلاة (٦٣٢٦)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار- باب استحباب خفض الصوت بالذكر (٢٧٠٥).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين- باب الدعاء قبل صلاة الليل وقيامه (٧٧١)، مرفوعًا من علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) سورة النساء: ١٧.

(٤) سورة النساء: ٤٨، ١١٦.

(٥) سورة هود: ٢، ٣.

الله غفر له.

الثَّامِنَةُ: أَنَّ اللهَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ.

وجاء هذا كثيرًا في القرآن: ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1]، فالأمر إليه، يغفر لِمَنْ يشاء، وهو أعْلَم حيث يجعل رحمته وفضله، ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾[2]، وفي مواضع: ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾[3]، فالأمر لله؛ المغفرة وعَدَمُها، أو الأخذ بالذنب، وهو التعذيب، والجزاء عليه والعقاب.

التَّاسِعَةُ: أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَرْطِ التَّوْبَةِ أَلَّا يَعُودَ العَبْدُ إِلَى الذَّنْبِ، لَكِنْ عَلَيْهِ إِنْ عَادَ أَنْ يَتُوبَ.

هذا مهم، فمِنْ شروط التوبة المشهورة الندم والأسف على ما مضى، والعزم وعقد القلب على أنه لا يعود، ومقاطعة الذنب. فهذه شروط أساسية، وليس للتوبة حقيقة إلّا بهذه الأمور. والشرط الرابع المشهور: إذا كان يتعلق بحقوق العباد، فلا بُدَّ مِنْ رَدِّ حقوقهم ورَدِّ المظالم.

لَكِنْ ليس مِنْ شروط التوبة أنه لا يعود، فهل لو عاد الإنسان بعد التوبة تكون توبته الأولى باطلة؟ لا، بل توبته الأولى صحيحة، ومعنى ذلك أنه لو أذنب ذنبًا وذنبًا وذنبًا، ثُمَّ تاب توبة نصوحًا، غُفِرَتْ هذه الذنوب. ثُمَّ إذا ابتلي العبد مرَّة أخرى وأذنب، لا نقول إنه لَمَّا عاد رجعت عليه ذنوبه السابقة، لا، بل توبته الأولى صحيحة، وذنوبه السابقة مُحِيَتْ بالتوبة السابقة الصحيحة. إذًا، ليس مِنْ شرْط التوبة أنَّ العبد لا يعود، فقد يعود، ويكون عنده تصميم وعنده نية طيبة وعَزْم، لَكِنْ يتغيَّر، فالإنسان مُبْتَلًى بِنَفْسٍ أمَّارة بالسُّوء، وشهوة، وكذا، وكذا، ومؤثرات. والشيطان لا يتركه، ويهوِّن عليه الأمر، ويعده ويمنيه، يعده أنه يتوب، يعده أنَّ الله يغفر له، ليوقعه في الذنب.

فالمهم أنه ليس مِنْ شَرْط التوبة النصوح أنَّ العبد لا يعود إلى الذنب، لَكِنَّ عَدَم العودة والاستمرار، يعني عنوان على كمال التوبة وصِدْقِ التوبة.

العَاشِرَةُ: أَنَّ مَنْ صَدَقَ فِي تَوْبَتِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ فَإِنَّ اللهَ يَغْفِرُ لَهُ، وَإِنْ عَادَ ثُمَّ عَادَ ثُمَّ عَادَ.

---

(١) سورة آل عمران: ١٢٩.

(٢) سورة الإسراء: ٥٤.

(٣) سورة آل عمران: ١٢٩.

وهذه تؤكد السابق، أنَّ مَنْ صَدَقَ في توبته واستغفاره فالله يغفر له، حتى وإنْ عاد مرَّة ومرتين وثلاثًا وأربعًا وخَمْسًا؛ لأنه في الحديث: (**فَلْيَعْمَلْ عَبْدِي مَا شَاءَ**)، يعني ما دام أنه على هذا المنهج.

وكَرَّرناها ثلاثًا، لتناسب ما جاء في الحديث، ثُمَّ عاد ثُمَّ عاد ثُمَّ عاد.

الحَادِيَةَ عَشَرَ: إِثْبَاتُ كَلَامِ اللهِ.

وهذا واضح مِنَ الحديث، أنَّ الله يقول: (**عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ**)، فالحديث فيه كلام لله، والله يقول، فكلَّما استغفر هذا العبد يقول: (**رَبِّ أَذْنَبْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ لِي، فَيَقُولُ اللهُ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا**)، فالحديث متضمن لكلام الله. إذًا، فيه دليل على إثبات كلام الله، وأنَّ الله يتكلم. إذًا، ففيه الرد على الجَهْمِيَّة والمعتزلة، بل والأشاعرة؛ الحقهم ، لأنَّ الأشاعرة يقولون: كلام الله معنى في نَفْسه، ولا يكون بمشيئته، ولا يرتبط بأسبابه. وقولهم عجيب في كلام الله سبحان الله. ومِمَّا يُذْكَر لهم أنهم يثبتون سَبْع صفات ومنها كلام الله، لَكِنْ فسَّر قولهم في كلام الله. فهم يقولون: كلام الله معنى نَفْسِيٌّ واحد قديم، لا تتعلق به مشيئته سبحانه، وليس فيه تعدد ولا تنوع ولا شيء مِنْ هذا، ما هذا الكلام؟ سبحان الله! أعوذ بالله!. هذا الله يتكلم، لَمَّا قال العبد: (**أَصَبْتُ ذَنْبًا، قَالَ اللهُ: عَلِمَ عَبْدِي**)، وقال مرَّة ثانية. فهل كلام الله الأول هو الثاني والثالث وكله واحد؟ لا، بل الله يتكلم، يكلم الله الملائكة، والأنبياء، ويكلم مَنْ شاء أنْ يكلم. ولهذا أهل السُّنَّة يقولون: إنَّ الله لَمْ يزل - أيْ في القِدَم - يتكلم إذا شاء بما شاء كيف شاء. ونحن نعلم أنَّ هناك كلامًا سيتكلم الله به في المستقبل، وهو تكليمه للخلق يوم القيامة، فيكلم المشركين: ﴿**وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ**﴾[1]، ويكلم الرسل فيقول لهم: ﴿**مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا**﴾[2]، ويكلم عيسى: ﴿**إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ**﴾[3]، ﴿**وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ**﴾[4].

الثَّانِيَةَ عَشَرَ: أَنَّ قَوْلَهُ: (فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ) وَعْدٌ بِالمَغْفِرَةِ لِلْعَبْدِ كُلَّمَا تَابَ، وَلَيْسَ إِذْنًا بِارْتِكَابِ الذُّنُوبِ، فَيَجِبُ الحَذَرُ مِنَ الإِقْدَامِ عَلَى الذَّنْبِ اتِّكَالًا عَلَى مَغْفِرَةِ اللهِ، وَاعْتِمَادًا عَلَى أَنَّهُ -أَيْ العَبْدَ- يَسْتَغْفِرُ وَيَتُوبُ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي

(١) سورة القصص: ٦٢ ، ٧٤.

(٢) سورة المائدة: ١٠٩.

(٣) سورة المائدة: ١١٠.

(٤) سورة المائدة: ١١٦.

لَعَلَّهُ لَا يُوَفَّقُ لِذَلِكَ.

هذه الفائدة مهمة ، لسلوك الإنسان، وفي معاملته لربه. فيجب أنْ يفهم المسلم قوله سبحانه: (**فَلْيَعْمَلْ عَبْدِي مَا شَاءَ**)، أنَّ هذا ليس إذْنًا بالذنوب، (اعْمَلْ مَا شِئْتَ)، هذا يتضمن الوعْد بالمغفرة لكل مَنْ أذنب وتاب واستغفر، وَعْدٌ له بالمغفرة، كما قال تعالى لأهل بَدْرٍ: «**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»(١)، فكلَّما أذنبوا تابوا واستغفروا، فَيُوَفَّقُون للتوبة. فلا يجوز للعبد أنْ يُقْدِم على الذنب اتِّكَالًا على مغفرة الله، فالله كريم وغفور، لَكِنَّ هذا تَذَكَّر المغفرة بَعْدَ اقتراف الذنب، أمَّا قَبْل فَتَذَكَّرْ أنه شديد العقاب.

ثُمَّ إنه قد يقول الشيطان لك: يمكن أنْ تتوب وتستغفر. نقول: لا تدري، فيمكن أنْ تُؤْخَذ في حال اقتراف الذنب، وما يدريك أنك تُمْهَلُ حتى تتوب؟ وما يدريك أنك تُوَفَّقُ للتوبة؟

يقول بعض الشعراء:

أَتَأْمَنُ أَيُّهَا السَّكْرَانُ جَهْلًا * بِأَنْ تَفْجَأْكَ فِي السُّكْرِ المَنِيَّة**

يَمُوتُ وَهُوَ سَكْرَانٌ، ذَهَبَ، امْتَنَعَتْ عَلَيْهِ التَّوْبَةُ. فَلَا يَجُوزُ الإِقْدَامُ عَلَى الذَّنْبِ اتِّكَالًا عَلَى مَغْفِرَةِ الله، أَوِ اعتمادًا على أنه سيتوب ويستغفر، فهذا خلاف الحزْم، فالحزْم أنْ تجتنب وتَحْذَر الذنب، والله المستعان.

نسأل الله أنْ يقينا وإياكم اقتراف الذنوب. والذنوب في الحقيقة أنواع، هناك ذنوب قليل مِنَ المسلمين لا يفكرون فيها، أو أنهم يمتنعون منها، وقد يقعون في أسبابها. لَكِنْ هناك ذنوب – أعوذ بالله – تدخل على الإنسان كحالة عفوية، مثال هذا الغِيبَة: وهي ذِكْرُك أخاك بما يكره. هذه التي يُبْتَلَى بها كثير مِنْ طَلَبَة العِلْم والعلماء والصالحين، وتأتي في ثنايا الحديث مِنْ هنا ومِنْ هنا، فالاحتراز مِنَ الغِيبَة يحتاج إلى الصدق، والصبر، ومقاطعة عوائد الناس، وأحيانًا تأتي بتأويل.

الثَّالِثَةَ عَشَرَ: إِثْبَاتُ المَشِيئَةِ لله تَعَالَى.

هل في الحديث ذِكْرُ المشيئة لله صريحة؟ هي في الحقيقة إثبات المشيئة للعبد، أنا يمكن ذهب فكري إلى قوله: «**فَلْيَعْمَلْ عَبْدِي مَا شَاءَ**»، فالمشيئة هنا مشيئة العبد، ففيها الردُّ على الجَبْرِيَّة وَمَنْ قال بقولهم: مِنْ أنَّ العبد ليس له قدرة ولا مشيئة، فالحديث فيه إثبات المشيئة للعبد، أمَّا المشيئة لله ففي قوله: (**ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ**) بِلَا تقدير،

(١) تقدم تخريجه.

مكث مدة، أيامًا، أو شهورًا، (**ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا**)، إذًا الحديث فيه إثبات مشيئة الله، التي لا يخرج عن مشيئته شيء. فمشيئة الله عامة، فلا يخرج شيء عن مشيئة الله، فكل ما في الوجود مِنَ العَالَمِ العُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ، وأيُّ حركة في الأرض وفي السماء بمشيئة الله. فالحركات كلها؛ حركات الأفلاك، وحركات الملائكة، والبشر، والجن، والإنس، وحركات الجمادات، وحركات البحار، وأمواج البحار، كُلُّ هذه الحركات كلها بمشيئة الله. «**ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ**».

***

الأَسْئِلَةُ

السُّؤَالُ: حَدِيثُ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»[1]، أَوْرَدَهُ «البُخَارِيُّ» تَحْتَ بَابِ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾[2]، وَقَوْلِهِ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[3]؟

الجَوَابُ: هو في شأن النَّفْس، والمناسبة ذِكْرُ النفس.

السُّؤَالُ: وَحَدِيثُ كِتَابَةِ السَّيِّئَةِ وَالحَسَنَةِ، وَحَدِيثُ: «إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا»[4] أُورِدَا تَحْتَ بَابِ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ﴾[5]، فَمَا مُنَاسَبَةُ الأَحَادِيثِ لِتَرَاجِمِهَا، وَمَا عِلَاقَتُهَا؟

الجَوَابُ: هذا مِنْ أجل القول، وما ذَكَرَه مِنْ أجل السيئات والحسنات ذَكَرَه مِنْ أجل كلام الله، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ﴾[6]، الآية فيها ذِكْرُ كلام الله، والحديثان فيهما ذِكْرُ القول مِنَ الله.

السُّؤَالُ: أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صِدِّيقُ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَخَيْرُ البَشَرِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ، وَمَعَ ذَلِكَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات- باب التوبة (٦٣٠٨)، ومسلم في كتاب التوبة- باب في الحض على التوبة والفرح بها (٢٦٧٥).

(٢) سورة آل عمران: ٢٨ ، ٣٠.

(٣) سورة المائدة: ١١٦.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) سورة الفتح: ١٥.

(٦) سورة الفتح: ١٥.

إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا»[1]؟

الجَوَابُ: هذا سؤال طُرِحَ على شيخ الإسلام ابن تيمية، وكتب فيه رسالة، وخلاصة الجواب: أنَّ العبد مهما كان لا يستغني عن التوبة إلى الله والاعتراف بالتقصير، وقول العبد: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، شعور واعتراف بالتقصير في حق الله، وهذا نوع مِنْ أَبْلَغ صوَر الاستغفار، فتجد هذا الحديث فيه عدد مِنْ وجوه الاستغفار: «اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»[2]، نَفْسُ الاعتراف بأنَّ الله غفور، فهذا فيه طلب المغفرة، «فَاغْفِرْ لِي»، هذا طلب صريح. «مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ»، كَرَمٌ وإحسان وتفضُّل.

السُّؤَالُ: مَا الفَرْقُ بَيْنَ الغَفُورِ وَالغَفَّارِ؟

الجَوَابُ: غفَّار أبْلَغ، فغفَّار عند أهل اللغة أبْلَغ، وكلاهما يسمى صيغة مبالغة، هذا في اصطلاح النحويين، لَكِنْ في حق الله لا يَحْسُن أنْ نقول صيغة مبالغة، بل نقول: صيغة تكثير تدل على الكثرة.

السُّؤَالُ: عِنْدَمَا أَكَلَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الشَّجَرَةِ، هَلْ ذَلِكَ الفِعْلُ خَطَأٌ مَعَ أَنَّهُ مَعْصُومٌ؟

الجَوَابُ: هذا مِنْ حجج القائلين بأنَّ الأنبياء ليسوا بمعصومين مِنَ الذنوب، وهذا أظْهَرُ، قال: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾[3].

السُّؤَالُ: مَا المُرَادُ بِالذِّكْرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ﴾[4]؟

الجَوَابُ: ذكروه وتذَكَّروا أنه شديد العقاب، وتذَكَّرُوا أنه غفور، فتابوا واستغفروا.

السُّؤَالُ: هَل يَجِبُ تَحْدِيدُ الذَّنْبِ وَذِكْرُهُ عِنْدَ طَلَبِ المغفرة مِنَ الله؟

الجَوَابُ: لا يجب، ويمكن أنْ يقول: يا رب إني فعلت كذا فاغفر لي، والله يعلم.

السُّؤَالُ: بَعْضُ الذُّنُوبِ يَتْرُكُهَا العَبْدُ لَيْسَ تَوْبَةً مِنْهَا وَإِنَّمَا لِتَحَقُّقِ سَبَبِ التَّرْكِ، مِثْلُ ذَنْبِ الزِّنَا الَّذِي يَتْرُكُهُ العَبْدُ إِذَا تَزَوَّجَ، فَهَلْ يُعْتَبَرُ تَرْكُهُ هَذَا الذَّنْبَ بِسَبَبِ الزَّوَاجِ تَوْبَةً مِنْ هَذَا الذَّنْبِ؟

الجَوَابُ: لا، ليس بتوبة؛ لأنه ما نَدِم، وكثير مِنَ المتزوجين يزنون.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) سورة طه: ١٢١.

(٤) سورة آل عمران: ١٣٥.

السُّؤَالُ: كَيْفَ يَعْلَمُ العَبْدُ أَنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَهُ؟

الجَوَابُ: هذا إلى الله، إذا فَعَل السبب ليس إليه، يعني إذا علمت مِنْ نفسك صِدْقَ التوبة فاعلم أنَّ الله غفر لك، لَكِنَّ الشأن في إيمانك بوعده الصادق، والشأن ما كان مِنْ قِبَلِك.

السُّؤَالُ: ذَكَرْتُمْ أَنَّ المُسْتَغْفِرَ دُونَ تَوْبَةٍ تَحْتَ المَشِيئَةِ.

الجَوَابُ: نَعَمْ.

السُّؤَالُ: مِنَ المَعْلُومِ أَنَّ أَيَّ مُذْنِبٍ دُونَ الشِّرْكِ، فَهُوَ تَحْتَ المَشِيئَةِ أَيْضًا، فَمَا أَثَرُ الاسْتِغْفَارِ؟

الجَوَابُ: أثر الاستغفار أنْ يكون ممَّنْ يُغْفَرُ لهم، فقد يكون سببًا للمغفرة؛ لأنَّ المذنبين ما دُون الشرك صنفان: صنف يُغْفَرُ له، وصنف لا يُغْفَرُ له، حسَب مشيئة الله، فاستغفار العبد يمكن أنْ يجعله في الفريق المغفور لهم.

السُّؤَالُ: هَلِ العَوْدَةُ إِلَى الذَّنْبِ بَعْدَ التَّوْبَةِ يُدْخِلُ المَرْءَ تَحْتَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾[1].

الجَوَابُ: لا.

السُّؤَالُ: مَا صِحَّةُ هَذِهِ المَقُولَةِ: إِنَّ اسْتِغْفَارَنَا يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِغْفَارٍ؟

الجَوَابُ: لا بأس، ففيه إشارة إلى ضَعْفِ الاستغفار، ليس استغفارًا يليق بعظمة الله وبحقه، وبعظمة الذنب، فهذا مِنْ كلام أرباب السلوك، لَكِنْ ما له أصل. لَكِنْ إذا ربطناه بهذا المعنى نعم ، نستغفر الله مِنَ الذنوب المحقَّقة ومِنَ التقصير في الطاعة، فهذا ينسحب حتى تقول: أستغفر الله مِنْ صلاتي، أيْ لِمَا فيها مِنْ تقصير، لَكِنْ ما جاء هذا في الشرع؛ أيْ الاستغفار مِنَ الأعمال الصالحة، لَكِنْ نستغفر مِنَ الذنب ومِنَ التقصير.

السُّؤَالُ: كَيْفَ نَجْمَعُ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾[2]، وَبَيْنَ مَا ثَبَتَ فِي الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ مِنْ دُنُوِّ الشَّمْسِ مِنْ رُؤُوسِ العِبَادِ يَوْمَ القِيَامَةِ[3]؟

الجَوَابُ: هذا السؤال في الحقيقة وَرَدَ على نفسي مِنْ قريب، فالقيامة أحوال، كأن السائل مقصده أن تكوير

---

(١) سورة البقرة: ٢٧.

(٢) سورة التكوير: ١.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن - باب ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدًا شكورًا (٤٧١٢)، ومسلم في كتاب الإيمان - باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٤).

الشمس مبنيٌّ على أنَّ الشمس تُكَوَّرُ ويذهب ضوؤها قَبْلَ ما جاء في الحديث أنها تدنو مِنَ الخلائق فيعرقون، لا ، يمكن أنْ يكون التكوير بَعْدُ.

السُّؤَالُ: بَعْضُهُمْ زَادَ عَلَى أَقْسَامِ التَّوْحِيدِ الثَّلَاثَةِ قِسْمًا رَابِعًا، وَهُوَ تَوْحِيدُ الاتِّبَاعِ، فَهَلْ هَذَا القِسْمُ صَحِيحٌ؟

الجَوَابُ: متعلق هذا التوحيد غير متعلق أنواع التوحيد الثلاثة؛ أنواع التوحيد الثلاثة متعلقها وحدانية الله سبحانه، والرابع هذا متعلِّقه وَحْدَةُ المتبوع، أيْ وَحْدَةُ الرسول.

السُّؤَالُ: شَخْصٌ أُغْمِيَ عَلَيْهِ وَأُشْرِبَ المَاءَ، فَهَلْ يُنْتَقَدُ صِيَامُهُ؟

الجَوَابُ: لا، ما يُنْتَقَدُ صيامه، وأخطأ مَنْ شرَّبَه الماء، وأرجو أنَّ صيامه صحيح؛ لأنه لَمْ يكن مِنْ فِعْلِه، بل هو ممَّا فُعِلَ به، كما لو أنَّ صائمًا، فأتى مُعْتَدٍي عليه فجرَّعه الماء، ما يَفْسُد صيامه؛ لأنه مُكْرَهٌ، وهذا جُرِّعَ الماء بغير إرادته.

السُّؤَالُ: كَيْفَ نَجْمَعُ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [1]، وَبَيْنَ حَدِيثِ، «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»[2]؟

الجَوَابُ: قال أهل العِلْم: إنَّ المراد ليس إليه، أيْ لا يضاف إلى الله اسمًا ولا صفة ولا فِعْلًا، فالشر لا يضاف إلى الله صفة، فأسماؤه كلها حُسْنَى، وصفاته كلها كمال، وأفعاله كلها صفات عَدْلٍ، وأمَّا المخلوقات ففيها الخير والشر، وَلَكِنْ ليس في المخلوقات شرٌّ مَحْضٌ، بمعنى أنَّ وجوده لا معنى له.

السُّؤَالُ: هَلِ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ وَالخَفِيُّ يُغْفَرُ أَمْ لَا؟

الجَوَابُ: أرجو ذلك.

السُّؤَالُ: مَا حُكْمُ تَارِكِ الصَّلَاةِ؟

الجَوَابُ: قيل أنه يكفر، وقيل لا يكفر.

السُّؤَالُ: مَا هِيَ صِفَتَي الحُجْزَةِ وَالحَقْوِ؟

الجَوَابُ: الله أعلم.

السُّؤَالُ: مَا رَأْيُ فَضِيلَتِكُمْ فِي هَذِهِ المَقُولَةِ بِأَنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ هُوَ السَّامِرِيُّ؟

---

(١) سورة الرعد: ١٦. وسورة الزمر: ٦٢.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين- باب الدعاء قبل صلاة الليل وقيامه (٧٧١)، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

الجَوَابُ: إذا ذكروا الدليل عَمِلْنَا به، لَكِنْ ليس لهم فيما أعْلَمُ دليل، هذا تَخَرُّصٌ.

السُّؤَالُ: رَجُلٌ اسْتَقْدَمَ عَامِلًا لِلْعَمَلِ عِنْدَهُ فِي مَحِلٍّ، عَلَى مَبْلَغٍ مُعَيَّنٍ مُتَّفَقٍ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا عَمِلَ مَعَهُ بَعْدَ فَتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ، لَمْ يَحْدُثْ تَوَافُقٌ فِيمَا بَيْنَهُمَا، فَأَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَعْمَلَ فِي عَمَلٍ آخَرَ، فَطَلَبَ الكَفِيلُ مِنْهُ ثَلَاثَةَ أَضْعَافِ المَبْلَغِ المُتَّفَقِ عَلَيْهِ، فَمَا الحُكْمُ فِي ذَلِكَ؟ وَهَلْ يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ فَوْقَ المُتَّفَقِ عَلَيْهِ ثَلَاثَةَ أَضْعَافٍ، أَفْتُونَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكُمْ؟

الجَوَابُ: ما ينبغي له هذا التحكم، إذا رأى أنه لا توافق، ينبغي له أنْ يحوِّل كفالته، وهو الآن بينه وبينه عَقْدٌ، ومعنى ذلك أنه تَحَكُّمٌ في شأنه وفي نَقْلِ كفالته، والآن عَقْدُ الكفالة الجاري عَقْدٌ مُلْزِمٌ، فليس للكفيل أنْ يتخلى وليس للعامل أنْ يتخلى، وعلى كُلٍّ منهما الوفاء بالعَقْدِ الذي بينهما، فإذا لَمْ يحصل الوفاق فينبغي الصلح بينهما، والله أعلم، ولَكِنَّ المغالاة في مِثْل هذا ليست مِنْ صفات الكرام.

السُّؤَالُ: هَلْ الأَشَاعِرَةُ وَالمَاتُرِيدِيَّةُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ؟

الجَوَابُ: هُمْ ينتسبون لأهل السُّنَّة في مقابل المعتزلة، أمَّا أهل السُّنَّة والجماعة فليسوا منهم، كيف نقول مِنْ أهل السُّنَّة والجماعة، وهُمْ يقولون: إنَّ كلام الله معنى نفسيٌّ، ويقولون: إنه لا يثبت بالعقل إلّا سَبْع صفات فقط، ويقولون: إنه تعالى يرى لا في جهة، ويقولون: إنه تعالى ليس فوق العرش، بل هو تعالى في كُلِّ مكان، -سبحان الله- اعْرِفُوا مذهبهم ثُمَّ اسألوا!.

السُّؤَالُ: هَل يَجُوزُ دَفْنُ الشِّيعَةِ فِي مَقَابِرِ المُسْلِمِينَ؟

الجَوَابُ: لا ينبغي؛ لأنهم مشركون، ولهذا هُمْ لهم مقابر في الشرقية تخصهم.

السُّؤَالُ: وَإِذَا دُفِنَ الشِّيعِيُّ فِي مَقَابِرِ البَقِيعِ فِي المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ، هَلْ يَحْصُلُ لَهُ أَجْرُ دُعَاءِ الرَّسُولِ؟

الجَوَابُ: لا أدري -الله اعلم لكن- دعاء الرسول كشفاعته لا يُنَالُ إلّا بالتوحيد.

السُّؤَالُ: فِي الأَدْعِيَةِ الشَّرْعِيَّةِ فِي دُخُولِ الخَلَاءِ وَالخُرُوجِ مِنْهُ وَحِينَ البَدْءِ بِالأَكْلِ، هَل يَقُولُهَا فِي قَلْبِهِ؟

الجَوَابُ: لا، ما يُجْزِئُ.

السُّؤَالُ: يُرْوَى أَنَّ هَارُوتَ وَمَارُوتَ مَلَكَانِ اخْتَبَرَهُمَا اللهُ بِفِتْنَةِ الإِنْسَانِ فَفَشِلَا فَعَاقَبَهُمُ اللهُ؟

الجَوَابُ: أخبار إسرائيلية.

السُّؤَالُ: هَلْ للهِ ظِلٌّ؟

الجَوَابُ: الظل المذكور في الحديث هو ظله الذي يُظِلُّ به مَنْ يشاء، كما في الحديث الآخر: «**الْمُؤْمِنُ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ**»(١)، فليس صفة، الظل ليس صفة.

السُّؤَالُ: تُوجَدُ بَعْضُ التَّمْثِيلِيَّاتِ تَتَشَبَّهُ بِالرَّسُولِ، فَهَلْ يَجُوزُ ذَلِكَ؟

الجَوَابُ: والله هذا مُنْكَرٌ، وهذا قد يكون كفرًا؛ لأنَّ التمثيل سخرية، التمثيل سخرية، التمثيل سخرية.

السُّؤَالُ: إِذَا وُضِعَ شَرِيطٌ فِي المَنْزِلِ وَجَعَلَ يَقْرَأُ القُرْآنَ أَوْ سُورَةَ البَقَرَةِ، فَهَلْ يُطْرَدُ الشَّيْطَانُ كَمَا فِي الحَدِيثِ؟

الجَوَابُ: يُرْجَى ذلك، وَلَكِنْ كَوْنُ المكلَّف يقرأ، هذا هو المطلوب.

السُّؤَالُ: حُكْمُ التَّفْكِيرِ فِي الفَاحِشَةِ دُونَ الإِقْدَامِ عَلَيْهَا؟

الجَوَابُ: هو ما تضمَّنه الحديث المتقدِّم، إذا هَمَّ بالسيئة وإذا تراجع عنها ولا فعلها ولا تركها لله، فلا تُكْتَبُ، كما في الأقسام المتقدِّمة، قد تُكْتَبُ عليه سيئة وقد تُكْتَبُ له حسنة، وقد لا تُكْتَبُ لا سيئة ولا حسنة.

السُّؤَالُ: مَا صِحَّةُ مَا نَقَلَهُ البَزَّارُ فِي تَرْجَمَةِ شَيْخِ الإِسْلَامِ مِنَ الكَرَامَاتِ؟

الجَوَابُ: لا أدري.

السُّؤَالُ: هَل صَحِيحٌ مَا يَقُولُهُ البَعْضُ، أَنَّ التَّوْبَةَ النَّصُوحَ لَهَا شَرْطٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ العَزْمُ الصَّادِقُ عَلَى عَدَمِ ارْتِكَابِ الذَّنْبِ، وَلَا يُشْتَرَطُ بَقِيَّةُ الشُّرُوطِ مِنَ الإِقْلَاعِ وَالنَّدَمِ، مَعَ الاتِّفَاقِ عَلَى إِرْجَاعِ الحَقِّ لِلآدَمِيِّ وَالتَّحَلُّلِ مِنْهُ؟

الجَوَابُ: لا نعرف مَنْ قال بهذا، مَنْ قال أنه ليس لها شرط إلّا العزم الصادق على عدم ارتكاب الذنب، ما يصير، وإذا عَزَم على تَرْك الذنب فما الذي حمله؟ هل نَدِم على ما مضى أمْ هو فرح بما مضى؟ ما يصير.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

***

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين..

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

---

(١) بلفظ: «**كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ**» أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ١٤٧)، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

عَنْ أَنَسٍ[1] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ شُفِّعْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ أَدْخِلِ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ خَرْدَلَةٌ، فَيَدْخُلُونَ، ثُمَّ أَقُولُ: أَدْخِلِ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى شَيْءٍ»[2]، فَقَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَصَابِعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَعَنْهُ[3] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ذِكْرُ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مُطَوَّلًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ[4] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَزَادَ هُنَا فِي آخِرِهِ: «فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَأْتُونِي، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لاَ تَحْضُرُنِي الآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، قَالَ: فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شعيرة مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ، فَأَنْطَلِقُ، فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مثقال ذرة او خردلة من ايمان فأخرجه، فَأَنْطَلِقُ، فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ،

---

(١) هو: الصحابي الجليل أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، الإمام، المفتي، المقرئ، المحدث، راوية الإسلام، أبو حمزة، الأنصاري، الخزرجي، النجاري، المدني، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابته من النساء، وتلميذه، وتبعه، وآخر أصحابه موتًا، وروى عنه علمًا جمًّا، وغزا معه غير مرة، وبايع تحت الشجرة، دعا له النبي بالبركة، فرأى من ولَده وولَدِ ولَدِه نحوًا من مئة نَفْسٍ. مات سنة إحدى وتسعين. انظر: الاستيعاب (ص٥٣ ترجمة ٤٣)، والإصابة (١/ ١٢٦ ترجمة ٢٧٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد- باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (٧٤١٠)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٣).

(٣) هو: أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وتقدمت ترجمته.

(٤) هو: عبد الرحمن بن صخر الدوسي، الملقب بأبي هريرة: صحابي، كان أكثر الصحابة حفظًا للحديث وروايةً له. نشأ يتيمًا ضعيفًا في الجاهلية، وقدم المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر، فأسلم سنة ٧ هـ، ولزم صحبة النبي، فروى عنه ٥٣٧٤ حديثًا، وولي إمرة المدينة مدة. وكان أكثر مقامه في المدينة وتوفي فيها سنة ٥٩هـ. (تهذيب الكمال: ٣٤/ ٣٦٦).

فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ»[1].

قال وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: «ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَه، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي، وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي، لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[2].

الحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله.

هذا الحديث حديث عظيم مِنَ الأحاديث المتعلقة باليوم العظيم يوم القيامة، وهو حديث الشفاعة، أيْ: شفاعة النبي ﷺ للناس يوم القيامة، وقد جاء في «الصَّحِيحَيْنِ» وغيرهما مِنْ حديث أنس كما هنا، وقد تَقَدَّم مطوَّلًا في كتاب «الرِّقَاقِ» مِنْ «صَحِيحِ البُخَارِيِّ»، وأيضًا تَقَدَّم مِنْ حديث أبي هريرة، كغيره مِنَ الأحاديث الطويلة التي يكون بينها اختلاف في الألفاظ ، لَكِنْ ليس اختلاف تضادٍّ، إنما اختلاف بالزيادة والنقص والاختصار والتفصيل وما إلى ذلك، فيستفاد مِنْ مجموع الروايات، تُؤْخَذ الفوائد مِنْ مجموع الروايات، ما دامت الروايات كلها صحيحة، وأهل العِلْم يقولون: «الزِّيَادَةُ مِنَ الثِّقَةِ مَقْبُولَةٌ».

وفي الرواية الأولى المختصرَة التي رواها البخاري مختصرَة، فيها أنَّ النبي ﷺ يُشَفَّعُ، يعني: يَشْفَعُ؛ فَيُشَفَّعُ، والشفاعة تعلمون أنها مأخوذة مِنَ الشَّفْع الذي هو ضد أو خلاف الوِتْر، الشفع؛ لأنَّ الشافع ينضم إلى صاحب الحاجة فيجعله شفعا، فيذكر أنه يُشَفَّع، وأنه يسأل ربه أنْ يُخْرِج أو أنْ يُدْخِلَ الجنة مَنْ كان في قلبه مثقال كذا مِنَ الإيمان، مثقال ذرة، أو مثقال خردلة مِنَ الإيمان، فَيُؤْذَنُ له، فيقوم فيُدْخِلُهُمُ الجنة، ثُمَّ يشفع مرَّة أخرى، بِمَنْ هُمْ دون ذلك، فَيُدْخِلُهُمُ الجنة.

يقول أنس في هذه الروايات المختصَرة: إنَّ الرسول أشار بأصبعيه لتقليل المقدار. إشارة والرسول ﷺ كثيرًا ما يستعمل الإشارة بيده وأصبعيه، كما يقول: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةِ كَهَاتَيْنِ»[3]، وقَرَن بَيْنَ أصبعيه السبابة والوسطى،

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد- باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء (٧٥١٠)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد- باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء (٧٥١٠)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٣).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق – باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» (٦١٣٩) ومسلم في كتاب الفتن

ويقول: «أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ كَهَاتَيْنِ»[1]، ومِنْ هذا القبيل. وفيه، يعني استعمال توضيح للفعل، بل التعليم يكون بالفعل، يعني مِنْ هَدْيِ الرسول التعليم بالفعل، كما عَلَّمَ عَمَّار بن ياسر التَّيَمُّمَ بالفعل، ما قال له: اضرب يدك في الأرض وبعد ذلك امسح وجهك ويديك، لا، قال: أنْ تقول هكذا، يعني تقدير كما يقولون، تعليم بالفعل، وأنس يقول: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَصَابِعِ يَدَيْهِ»، يعني معناه إنما يعني أنه لَمْ يتلقَّ هذا بواسطة، بل يشير أنه ما تلقَّى هذا بواسطة، بل تلقَّاه مباشرة، معناه أنه سَمِعَه كما يقول بعض الروايات لتأكيد النقل والاتصال، يؤكده بقوله: «سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ، وَوَعَاهُ قَلْبِي، وَأَبْصَرَتْهُ عَيْنَايَ، وَهُوَ يَقُولُ: كَذَا وَكَذَا»، تأكيد بعد تأكيد. «فَيُدْخِلَهُمُ الجَنَّةَ»[2].

وفي الحديث الرواية المشهورة والمطوَّلَة أنه يخرجهم مِنَ النار، ولا شك أنَّ الذين يخرجون مِنَ النار، يخرجون مِنَ النار ليدخلوا الجنة، فالروايات فيها .. يعني .. التركيبة هكذا، يكون أوَّلًا: الشفاعة لإخراجهم مِنَ النار، كما في الروايات المشهورة والرواية المطوَّلَة والرواية الموجودة، أنه ينطلق فيخرجهم مِنَ النار. لَكِنْ ما عندنا يعني يخرجهم مِنَ النار ويدخلهم الجنة، يعني دون المرور بمرحلة أخرى، وكيف يخرجون مِنَ النار؟ يخرجون يمشون ولا يخرجون ... لَكِنْ جاء في روايات أخرى أنهم يخرجون مِنَ النار، وقد يكونون طوائف، قد يخرج مِنَ النار أقوام يخرجون مِنَ النار .. يعني في حال يمكن أنهم ينتقلون مِنَ النار ويدخلون الجنة، لَكِنْ الذي يظهر ــ والله أعلم ـ، أنهم لا بُدَّ أنْ يمروا بحالة، ولهذا جاء أنهم يخرجون مِنَ النار حُمَمًا ومجموعات غبائر، الروايات الأخرى فيها أنهم يخرجون قد امتحشوا، أو قد صاروا حُمَمًا، فَيُبَثُّونَ على نهر الجنة، نهر يسمى نهر الحياة، فَيَنْبُتُونَ كما تنبت الحبة في حَمِيلِ السيل.

إذن، ما تأخذ الحديث واحدًا وتبني على تصوُّر مُعَيَّنٍ، لا، وكُلُّ هذه الأمور مِنَ الغيب الذي يجب الالتزام فيه بالإيمان وفَهْمِ المعنى، مع الإمساك عن أمْرِ الكيفية وكيف يُتَصَوَّرُ، ما نتصور يوم القيامة، الجنة والنار ماذا بينهما مِنَ الأبعاد؟ تَصَوَّر، الرسول واحد يروح، كيف؟! ما يجب أنْ تتخيل شيئًا أبدًا، نؤمن به، والله أعلم كيف يكون هذا، عندكم في الروايات، أنطلق فأفعل، يخرجهم مِنَ النار، كيف يخرجهم مِنَ النار، وهل يدخل النار، كيف يصير؟ ما ندري.

وأشراط الساعة – باب قرب الساعة (٧٥٩٣).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق- باب اللعان (٥٣٠٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق- باب صفة الجنة والنار (٦٥٥٨)، ومسلم في كتاب الإيمان- أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩١).

يخرجهم مِنَ النار كيف شاء الله، لا بُدَّ مِنْ ... يعني لا تجعل الأمور الغيبية الأخروية تقيسها على تصوُّراتك القاصرة وعقلك القاصر، والعوائد التي أَلِفْتَهَا في الحياة، لا ... أمور الآخرة غير ... غير ومختلف، شأن القيامة شأن لا يقاس على الدنيا أبدًا.

إذن؛ هؤلاء يخرجهم مِنَ النار، ومآلهم: يدخلهم الجنة ... بس .. هذا الذي نستطيع نقوله، يأتي مرَّات ويشفع ... يسجد .. ويحمد .. يحمد ربه، ويقال له: ارفع رأسك مِنَ السجود، وذَكَرَ أنه يحمد ربه بمحامد، يقول: لا أُحْسِنُهَا الآن، يفتح الله بها عليه، فيقال له: «ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَه، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»، هذه الجُمَلُ كلها مآلها إلى معنى القبول والاستجابة، معانٍ متلازمة، ارفع رأسك، وقُلْ يُسْمَعْ، ما هو السماع الذي هو أُذُنْ ... لا، سماع الإجابة .. سَمِعَ الله لِمَنْ حمده. وسَلْ تُعْطَه، إذن؛ هذا تحقيق للاستجابة، واشفع تُشَفَّعْ.

وفي بعض الروايات: «فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ»، حدًّا: يعني يخرج مِنَ النار مَنْ قال لا إله إلّا الله، وفي قلبه كذا وكذا مِنْ مِقْدَار الإيمان.

أنا أريد أنْ أقول: إنه لا منافاة بَيْنَ الرواية الأولى المختصَرَة التي فيها كذا، والروايات الأخرى التي هي أشهر، وهي المشهورة وهي التي فيها التفصيل، وأنه يُشَفَّعُ مرَّات؛ ثلاث مرَّات، هذا مُتَّفِقٌ عليه، الرواية الرابعة اختصر المؤلف الزُّبَيْدِيُّ، اختصر، قال في رواية المرَّة الرابعة هذه كانت مِنْ طريق الحَسَن عن أنس، أنس .. أعني الحَسَن هو الذي روى أربع مرَّات عن أنسٍ، ولهذا أفردها المؤلف، وقال: في رواية، واختصر.

يوجد شفاعات، كم الذين تشملهم هذه الشفاعة، هذا إلى الله الذي يعلم ما في القلوب، ويعلم كُلَّ شيء، لا تخفى عليه.

وهذا الحديث أصل لمذهب أهل السُّنَّة في أهل الكبائر، وأنهم لا يُخَلَّدُونَ في النار، بل مَنْ دخل منهم، فإنه يمكث فيها ما شاء الله ثُمَّ يخرج، وليسوا على مرتبة واحدة، منهم مَنْ يخرج قَبْل غيره، يعني انظر إلى المرَّة الأولى هؤلاء يخرجون قَبْل .. يسبقون في الخروج، وما بَيْنَ المرَّة الأولى والثانية الله أعلم، أيضًا هذه أسئلة لا جواب لها، إنما القَدْر المهم أنَّ مَنْ دخل النار مِنْ أهل التوحيد والإيمان لا يُخَلَّدُونَ في النار.

ولهذا جاء في بعض الروايات: «ثُمَّ يَبْقَى فِيهَا أَوْ لَا يَبْقَى إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ القُرْآنُ»، يعني: الذي حَكَمَ القرآن

بخلودهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾[1]، أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون فيها ولا يحيون، أمَّا هؤلاء الذين يُعَذَّبُونَ، يؤُول أمرهم إلى أنهم يموتون، يخرجون حُمَمًا، وكما قلت: إنهم يتفاضلون ويتفاوتون، كما تفاوتوا في البقاء وتفاوتوا في السَّبْقِ إلى الخروج، أيضًا يتفاوتون في درجة ما ينالهم مِنَ العذاب، والله المستعان، نسأل الله العافية، ونعوذ بالله مِنَ النار، استجيروا بالله مِنَ النار مِنْ دعاء المؤمنين الذي نوَّه الله به: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ ..﴾ إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾[2]، ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[3]، وعَلَّمَنَا نبينا أنْ نقول في كُلِّ صلاة: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ»[4]، الله أكبر، لا إله إلا الله، سبحان الله العظيم .

نسمع ما كُتِبَ حوله:

قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ يُعْرَفُ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ بِحَدِيثِ الشَّفَاعَةِ الطَّوِيلِ، وَهُوَ مِنْ حُجَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ عَلَى الخَوَارِجِ وَالمُعْتَزِلَةِ القَائِلِينَ بِتَخْلِيدِ أَهْلِ الكَبَائِرِ فِي النَّارِ، وَفِيهِ فَوَائِدُ مِنْهَا.

أَوَّلًا: تَأْكِيدُ الرِّوَايَةِ بِاسْتِحْضَارِ صُورَةِ النَّبِيِّ ﷺ رُؤْيَةً وَسَمَاعًا.

الثَّانِيَةُ: التَّعْلِيمُ بِالإِشَارَةِ.

يعني فيه الرد على الخوارج والمعتزلة؛ لأنَّ الخوارج والمعتزلة تعلمون انهم يقولون بتخليد أهل الكبائر في النار.

هذه مِنَ الفوائد في الرواية، مِنْ تأكيد الرواية، ذِكْرُ ما يدل على الاتصال ويدل على المشاهدة والحضور، فهو يقول: «كَأَنِّي أَنْظُرُ»، كما تَقَدَّمَ.

التعليم بالإشارة: الإشارة لها دلالة، يعني وشواهدها في السُّنَّة كثيرة، بل في القرآن، قال الله في شأن زكريا،

---

(١) سورة البينة: ٦.

(٢) سورة الفرقان: ٦٥.

(٣) سورة البقرة: ٢٠١.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز- باب التعوذ من عذاب القبر (١٣٧٧)، ومسلم في كتاب المساجد- باب ما يستعاذ به في الصلاة (٥٨٨).

قال: ﴿لَا تُكَلِّمِ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾[1]، لَـمَّا صار لا يستطيع أنْ يتكلم مع الناس صار عنده الإشارة، يعني يُبَلِّغ الناس الدعوة ويعلِّمهم بالإشارة، والإشارة معتبَرة في حالات، حتى مع القدرة على الكلام.

الثَّالِثَةُ: عِظَمُ هول يَوْمِ القِيَامَةِ.

نَعَمْ .. هذا مأخوذ مِنْ أول الحديث، والحديث عندكم فيه اختصار، في بداية الحديث أنَّ الناس يوم القيامة يموج بعضهم في بعض، بشرية ... لا يُتَصَوَّرُ .. بشرية منذ آدم إلى آخِر نسمة، يموج بعضهم في بعض. في بعض الروايات الإطلاق: أنهم يشتد عليهم الكرب ويقولون: مَنْ يشفع لنا عند ربنا؟ مَنْ يشفع .. كذا .. فيتوبون. لَكِنْ جاء في بعض الروايات، أنَّ الذين يذكرون ذلك هُمُ المؤمنون، فيقولون: اذهبوا إلى آدم، وجاء في الحديث التفصيل أنهم يذهبون أولًا إلى آدم، ثُمَّ يعتذر ويقول: لست لها لست لها، ويذكر ذنبه، أَكْلَهُ مِنَ الشجرة، يعني فيه أحاديث فيها تفصيل، يأتون إلى آدم ويقولون: أنت وأنت .. خلقك الله بيده، ونفخ فيك مِنْ رُوحه، فيعتذر: اذهبوا إلى نُوح، في بعض الروايات .. نفس حديث أنس هذا في الموضع الذي سبقت الإشارة إليه أو في هذا الموضع، لَكِنْ اختصره المؤلِّف، يقول: اذهبوا إلى إبراهيم، لَكِنْ الروايات المعروفة المشهورة أنهم يقولون: اذهبوا إلى نُوح أول رسل الله إلى أهل الأرض، فيأتون نُوحا، فيذكر أيضًا خطيئته ويعتذر ويقول: لست لها، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم ويذكرون له ما فضَّله الله به إلى آخِر الحديث، فيعتذر ويذكر كذباته الثلاث، المهمُّ أنه يريد أنْ يدفع الناس عن .. يعني عن مطلبهم، اذهبوا إلى موسى الذي اصطفاه الله بكلامه ورسالاته، فيأتون موسى ويعتذر، وذَكَر خطيئته وقَتْلَه النَّفْس التي لَمْ يُؤْمَرْ بقتلها، فيقول: اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى ويذكرون له ما فضَّله الله به، فيعتذر. جاء في بعض الروايات: ولا يذكر ذنبًا، أو لم يذكر ذنبًا، فيقول: اذهبوا إلى محمد؛ عَبْد غفر الله له ما تَقَدَّم مِنْ ذنبه وما تأخر، قال ﷺ: فيأتوني فأقول: أنا لها، فيقول: فأنطلق فإذا رأيت ربي خررت له ساجدًا .. إلى آخره.

المقصود أنَّ هول يوم القيامة عظيم، جاء في الحديث الصحيح أنَّ الناس يُبْعَثُونَ وَيُحْشَرُونَ مِنْ قبورهم حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، عُرَاةً!! تقول عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض!! قال: «يَا عَائِشَةُ الأَمْرُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَلِكَ»، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ

(١) سورة آل عمران: ٤١.

الأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾[1]، الآية، الهول عظيم.. اقرأ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى﴾[2]، القلوب .. العقول طائشة وحائرة، ما هو شراب المسكر ... لا ... مِنَ الهول، ولَكِنَّ عذاب الله شديد.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ اللهَ يَغْضَبُ فِي هَذَا اليَوْمِ غَضَبًا عَظِيمًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبْ مِثْلَهُ بَعْدَهُ، كَمَا جَاءَ فِي بَعْضِ رِوَايَاتِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَلَى لِسَانِ الرُّسُلِ الَّذِين اعْتَذَرُوا عَنِ الشَّفَاعَةِ عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

هذه الرواية جاء فيها أنَّ كُلَّ واحد منهم يقول: نفسي نفسي، إنَّ ربي غَضِبَ اليوم غضبًا لَمْ يغضب قبله مِثْلَهُ، ولن يغضب بعده مِثْلَهُ، يذكر هذا معتذرًا، ثُمَّ يقول: نفسي نفسي نفسي. يعني: لا يهمني الآن إلّا نفسي، الأمر عظيم فوق أنْ أتدخل أو أشفع، فمِنَ الفوائد التي تُؤْخَذُ مِنْ جملة الروايات، أنَّ الله يغضب في ذلك اليوم ذلك الغضب العظيم، كما أخبر أولئك الرسل آدم ونُوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وكلهم يعتذر بغضب الرب، يعني هذا مِنْ جملة الأعذار، يعني يعتذرون بما كان مِنْ ذنب أو خطأ، ويعتذرون أيضًا بهذا الشأن العظيم؛ بغضب الرب تعالى.

الخَامِسَةُ: أَنَّ المُؤْمِنِينَ هُمُ الَّذِينَ يَأْتُونَ إِلَى الرَّسُلِ يَسْتَشْفِعُونَ.

هذا مأخوذ مِنْ بعض الروايات، أنَّ المؤمنين هُمُ الذين يعرفون آدم ويعرفون الرسل ويذكرون، فيظهر أنَّ الذين يقومون -كما يقال- بدور الاستشفاع، هم المؤمنون بالرسل، يعرفون شأن الرسل وفضْل الرسل، ويذكرون لهم ذلك.

السَّادِسَةُ: فَضْلُ الرُّسُلِ مَذْكُورِينَ فِي الحَدِيثِ، وَهُمْ آدَمُ وَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِم وَسَلَّمَ، وَالرُّسُلُ الخَمْسَةُ بَعْدَ آدَمَ هُمْ أُولُوا العَزْمِ، كَمَا ذَكَرَهُمُ اللهُ فِي آيَتَيْنِ فِي سُورَةِ الأَحْزَابِ وَالشُّورَى.

يعني هذه الفائدة فيها .. يعني، حديث الشفاعة مِنْ فوائده: الدلالة على فضْل هؤلاء الرسل، فالمؤمنون جعل الله في روعهم وألقى في روعهم أنْ يذهبوا أولًا إلى آدم، ثُمَّ ينتقلون مِنْ واحد إلى واحد، هذا يدل على فضْلهم على

(١) سورة إبراهيم: ٤٢، ٤٣.

(٢) سورة الحج: ١، ٢.

غيرهم مِنَ النبيين والمرسلين، والخمسة بَعْد آدم هُمُ المعروفون بأولو العزم، كما ذكرهم الله في سورة الأحزاب وسورة الشورى.

السَّابِعَةُ: ذِكْرُ بعض فَضَائِلِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أُولَئِكَ الرُّسُلِ.

نَعَمْ؛ الحديث فيه تفصيل .. حديث أبي هريرة فيه تفصيلات، فيه أنهم يستشفعون بآدم ويحتجُّون لأنفسهم بذكر فضائله كما سبقت الإشارة: أنت آدم؛ خَلَقَك الله بيده، ونَفَخ فيك مِنْ رُوحه، كُلُّ مَنْ جاءوا إليه ذكروا له ما خصَّه الله به مِنَ الفضائل.

الثَّامِنَةُ: ذِكْرُ مَا اعْتَذَرَ بِهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَنِ التَّقَدُّمِ لِلشَّفَاعَةِ.

يعني هذه أيضًا مِنَ الفوائد؛ ذِكْر أعذارهم، يعني .. كُلُّ فائدة يمكن أنْ تأخذ منها عدد، لأنَّ حديث الشفاعة .. يعني ممكن أنْ نعتدَّ بحديث الشفاعة بإثبات اليد لله، وأنَّ الله خَلَق آدم بيده، وأنه علَّمه أسماء كُلِّ شيء، فوائد معظمها محفوظة معروفة مِنَ القرآن، لَكِنَّ هذا على سبيل الإجمال. مِنَ الفوائد: معرفة ما يذكره المستشفعون مِنْ فضائل أولئك الرسل، إدلالًا عليهم بذلك، مِنْ أجل أنْ يقبلوا طلبهم وسؤالهم، ثُمَّ كُلُّ واحد يعتذر بعذرٍ؛ آدم يذكر خطيئته، إبراهيم يذكر الكذبات، وهذا يذكر كذا، وهذا يذكر كذا، نَعَمْ كما تَقَدَّم.

التَّاسِعَةُ: فَضْلُ نَبِيِّنَا محمد ﷺ عَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ.

العَاشِرَةُ: إِثْبَاتُ شَفَاعَتِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ لِأَهْلِ المَوْقِفِ أَنْ يُقْضَى بَيْنَهُمْ، وَهَذِهِ مُخْتَصَّةٌ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهِيَ المَقَامُ المَحْمُودُ: ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[1].

أيضًا مِنَ الفوائد: معرفة فضْل نبينا ﷺ على كُلِّ النبيين والمرسلين، وفيما قدَّره الله مِنْ ذلك فيه إظهار لفضله .. في ذلك إظهار لفضله؛ حيث يذهب الناس إلى آدم ونُوح وكذا، وينتهي الأمر إليه، كلهم يعتذرون، فإذا انتهى النوبة إليه وانتهوا إليه قال: أنا لها، فهو يعرف منزلته عند ربه، ويعرف فضْله على غيره، فهو سيِّد ولد آدم كما أخبر، يقول: أنا سيِّد .. جاء في نفْس حديث الشفاعة يقول: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ، أَتَدْرُونَ لِمَ؟**»[2]، ثُمَّ يذكر حديث الشفاعة، جاء التبويب بهذا، يقول: (**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يوم القيامة وَلَا فَخْرَ، أَتَدْرُونَ لِمَ؟**)، ثُمَّ ذَكَر ما يجري

---

(١) سورة الإسراء: ٧٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب- باب علامات النبوة في الإسلام (٣٥٧٥)، ومسلم في كتاب الفضائل- باب في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم (٢٢٧٩).

للناس مِنَ الشدة والكرْب وموج بعضهم في بعض، وما يكون مِنَ الاستشفاع بالأنبياء، إلى أنْ يأتوا إليه ﷺ، وهذه الشفاعة هي الشفاعة في أهل الموقف أنْ يُقْضَى بينهم، يعني أصل الموضوع هو طلب الشفاعة إلى الله بأنْ يفصل بَيْنَ عباده حتى يصير .. كُلٌّ ينتهي إلى داره، ينتهي، يصير أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، ولَكِنْ آخر الحديث ليس فيه تعرُّضٌ لهذا المعنى، يعني: أول الحديث فيه المطلوب، هو القضاء بَيْنَ العباد والراحة مِنْ موقف القيامة.

وفي آخر الرواية أنَّ الرسول يشفع لأُمَّته فيقول: أُمَّتِي أُمَّتِي، فيَأْذَنُ الله له بالشفاعة فيمن دخل النار مِنَ المؤمنين الموحدين فيُخْرِجُهُمْ، يعني على أربع مرَّات، في أربع مرَّات مِنَ الاستشفاع أو مِنَ الشفاعة. وأثار بعض أهل العِلْم الإشكال هذا وقالوا: الله أعلم .. إنَّ الرواة .. يعني الحديث فيه هذا وهذا، ولَكِنَّ أكثر الرواة يذكر هذا؛ لأنَّ الحاجة .. يعني مثلًا: الشفاعة في أهل الموقف أنْ يُقْضَى بينهم، هذا ما فيه نزاع بَيْنَ الطوائف، حتى الخوارج والمعتزلة يُقِرُّون بذلك؛ لأنَّ الشفاعة في أهل الموقف أنْ يُقْضَى بينهم لا يتعارض مع مذهبهم، لَكِنَّ الشيء الذي يتناقض، هو الشفاعة في الموحدين فيمن دخل النار، فلذلك اقتصر كثير مِنَ الرواة أو أكثرهم على هذا النوع الثاني مِنَ الشفاعة، ولَكِنْ جاء التصريح بأنه بشفاعته ﷺ يأتي تعالى وينزل كيف شاء، ويأتي كيف شاء، فيفصل بَيْنَ عباده، جاء التصريح بهذا في حديث طويل متكلم فيه، فيه أشياء صحيحة ثابتة، ويُعْرَفُ ذلك الحديث بحديث الصور، اقرأوه في ابن كثيرٍ وغيره، عند قوله تعالى في سورة [الأَنْعَام][1]: ﴿ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾[2]، المهم في سورة الأنعام عند ذِكْر الصور ﴿ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ﴾.

وهذه الشفاعة الكبرى في أهل الموقف، هي التي تُعْرَفُ عند العلماء بأنها المقام المحمود الذي هو مِنْ خصائص نبينا، وممَّا يُظْهِرُ الله به فضْلَهُ على رؤوس الأشهاد، قال تعالى: ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[3]، وقال ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ القَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ»[4]، ذلك المقام المحمود لنبينا في القرآن وفي السُّنَّة، بعضهم يفسر المقام

---

(١) هكذا قال الشيخ، والصواب: أن الآيتين المذكورتين ليستا في سورة الأنعام.

(٢) سورة الفرقان: ٢٦.

(٣) سورة الإسراء: ٧٩.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأذان- باب الدعاء عند النداء (٦١٤).

المحمود لنبينا أنَّ الله يُقْعِدُ محمدًا ﷺ معه على العرش، وهذا مشهور، وأهل السُّنَّة .. يعني المعروف عندهم أنهم لا ينكرون هذا، وهو مشهور عن إمام المفسرين مِنَ التابعين وهو مجاهد، لَكِنْ يُبْطِلُ ذلك الجَهْمِيَّةُ إنكارًا شديدًا؛ لأنهم أصلًا ما عندهم أنَّ الله فوق العرش، أو أنه مُسْتَوٍ على العرش، ولا شيء مِنْ هذا القبيل، فَهُمْ ينكرون كُلَّ ما يقتضي هذه المعاني، شيخ الإسلام ذَكَر هذه المسألة كعادته .. يُلِمُّ بالمسائل الكثيرة، يذكر: إنَّ هذا ممَّا يُقِرُّ به أهل السُّنَّة والجماعة.

الحَادِيَةَ عَشَرَ: إِثْبَاتُ الشَّفَاعَةِ لِعُصَاةِ المُوَحِّدِينَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَيَدْخُلُوا الجَنَّةَ، وَتَكُونُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَمِنْ غَيْرِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، وَمِنَ المَلَائِكَةِ وَالمُؤْمِنِينَ.

يعني قلنا: إنَّ الشفاعة في أهل الموقف أنْ يقضى بينهم هي مِنَ الشفاعات الخاصة بنبينا ﷺ، أمَّا الشفاعة لِمَنْ دخل النار أنْ يخرج منها، فلنبينا مِنْ ذلك ما جاء في الحديث أنه يشفع أربع مرَّات، ويُخْرِجُ مِنَ النار خَلْقًا عظيمًا لا يُحْصِي عددهم إلّا الله، لَكِنَّ هذه الشفاعة هي شفاعة مشتركة ليست مِنِ اختصاصه، بل يشفع الملائكة، جاء في الحديث الصحيح: «ثُمَّ تَشْفَعُ المَلَائِكَةُ وَيَشْفَعُ الأَنْبِيَاءُ وَيَشْفَعُ الصَّالِحُونَ»، فهذه شفاعة مشتركة، يعني هذه الشفاعة فيمن دخل النار مِنَ الموحدين أنْ يخرج منها ... فيها أولًا: أنها هي التي ينازع فيها الخوارج والمعتزلة، ويحتجُّ أهل السُّنَّة بما ثبت مِنْ ذلك، ويردُّون به عليهم. والثانية: أنها مشتركة وليست مِنْ خصائص النبي، بل يشركه في ذلك مَنْ شاء الله مِنَ الملائكة والأنبياء والصالحين.

الثَّانِيَةَ عَشَرَ: تَعَدُّدُ شَفَاعَتِهِ ﷺ لِلْعُصَاةِ مِنْ أُمَّتِهِ.

نَعَمْ، تعدد مرَّات .. صريح الحديث أربع مرَّات.

الثَّالِثَةَ عَشَرَ: الرَّدُّ عَلَى الخَوَارِجِ وَالمُعْتَزِلَةِ فِي إِنْكَارِهِمْ لِلشَّفَاعَةِ.

الرَّابِعَةَ عَشَرَ: التَّقَرُّبُ إِلَى اللهِ بِالسُّجُودِ وَالحَمْدِ.

التقرب إلى الله بالسجود والحمد، هذا معروف في الدنيا .. الشرائع قائمة على هذا، لَكِنْ كأنَّ المقصود التقرب إلى الله يوم القيامة بالسجود والحمد، فالرسول يفعل ذلك تقرُّبًا إلى الله وتعظيمًا وحمدًا وثناءً وتمجيدًا، يتوسل إليه بَيْنَ يديْ شفاعته ﷺ، ولهذا يقال له: ارفع رأسك، بعد سجوده ما شاء الله، وثنائه على ربه يقال له: ارفع رأسك وقُلْ يسمع، وإلّا الأصل يوم القيامة ليس فيها تكليف، لَكِنْ فيها أنواع مِنَ التعبد، ذَكَر شيخ الإسلام هذا المعنى،

واستشهد فيها، المرفوع عن الناس هو التكليف، أمَّا التعبد لله والحمد والثناء .. هذا يعني يجري، بل إنهم في بعض المواقف إذا ظهر الرب للمؤمنين وكشف عن ساقه، فإنهم يسجدون له، وحينئذ ومعهم منافقون، فيتعسر عليهم السجود: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾[1] الآيَةَ.

الخَامِسَةَ عَشَرَ: أَنَّ اللهَ يُلْهِمُ نَبِيَّهُ مَحَامِدَ كَانَ لَا يَعْرِفُهَا فِي الدُّنْيَا.

الله أكبر، يفتح الله على عبده، يفتح الله على نبيه بمحامد يحمد ربه بها، فكُلُّ ما يحمد به العبد ربه إنما هو بتعليمه، إمَّا التعليم الشرعي أو التعليم الكوني، كما يشاءون، آدم وحوَّاء قال الله: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾[2]، الله هو الذي ألهمه ذلك هو وزوجه حتى قالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾[3]، فألهمهما هذا الدعاء، فاستجاب لهما وقَبِلَ توبتهما وغفر لهما.

السَّادِسَةَ عَشَرَ: كَرَمُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى رَبِّهِ، فَهُوَ أَكْرَمُ الخَلْقِ؛ لِأَنَّهُ أَتْقَاهُمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[4].

هذه قريبة من الفائدة المتقدِّمة، وهي فضْل نبينا ﷺ على سائر النبيين والمرسلين، لَكِنْ هذه فائدة فيها رَبْط أنَّ هذا الفضل يتضمن منزلة النبي عند ربه، وأنه في أعلى منزلة، فهو خليل الله مع إبراهيم، فإبراهيم ومحمد هما الخليلان، ولهذا يتبوأ نبينا ﷺ أعظم منزلة في الجنة وهي الوسيلة، قال: «إِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ صَالِحٍ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ»[5]، ﷺ.

السَّابِعَةَ عَشَرَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَا يَشْفَعُ حَتَّى يُؤْذَنَ لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[6].

هذه الفائدة ظاهرة مِنَ القرآن، فلا أحد يشفع عنده إلّا بإذنه؛ لا مَلَكٌ ولا نبيٌّ ولا شيء، فليس في هذا الحُكْم استثناء. ﴿مَنْ ذَا الَّذِي﴾، أيْ: لا أحد يشفع عنده إلّا بإذنه، هذا حُكْمٌ مُطَّرِدٌ لا استثناء فيه، يعني نقول: لا أحد

(١) سورة القلم: ٤٢.

(٢) سورة البقرة: ٣٧.

(٣) سورة الأعراف: ٢٣.

(٤) سورة الحجرات: ١٣.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة- باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه (٣٨٤).

(٦) سورة البقرة: ٢٥٥.

يشفع عند الله، ولا محمد ﷺ، إلّا بإذنه، لا أحد يشفع عند الله إلّا بإذنه، حتى نبينا محمد ﷺ، لا يشفع حتى يُؤْذَنُ له.

الثَّامِنَةَ عَشَرَ: تَفَاضُلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي إِيمَانِهِمْ.

تفاضُل، هذا ظاهر ممَّا جاء في «مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ وَمِثْقَالُ بُرَّةٍ وَمِثْقَالُ خَرْدَلَةٍ»، هذا مِنَ الأدلة على تفاضُل المؤمنين في إيمانهم، وأنَّ الإيمان يزيد وينقص.

التَّاسِعَةَ عَشَرَ: أَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ.

العِشْرُونَ: أَنَّ أَعْظَمَ سَبَبٍ لِلنَّجَاةِ وَالخُرُوجِ مِنَ النَّارِ التَّوْحِيدُ وَالإِيمَانُ.

نَعَمْ، هذا هو السبب بل هو السبب، أنَّ السبب في الخروج مِنَ النار هو التوحيد والإيمان.

الحَادِيَةُ وَالعِشْرُونَ: تَقْرِيبُ المَعْنَوِيَّاتِ بِالحِسِّيَّاتِ لِلتَّقْرِيبِ.

للتقريب، وذلك بذِكْر المقادير مثقال ذرَّة، يعني الإيمان الذي في القلوب هذا شيء معنوي، فلتقريب مقداره، قال: مثقال ذرَّة، ومثقال بُرَّةٍ، مثقال خردلة، مِثْلُ ما تَقَدَّم في تقدير التقرب شبرًا، ذراعًا، باعًا.

الثَّانِيَةُ وَالعِشْرُونَ: فَضْلُ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّهَا تَمْنَعُ مِنَ الخُلُودِ فِي النَّارِ.

نَعَمْ، مَنْ قالها مؤمنًا صادقًا، أمَّا مَنْ قالها نفاقًا لا تنفعه شيئًا.

الثَّالِثَةُ وَالعِشْرُونَ: إِثْبَاتُ العِزَّةِ وَالجَلَالِ وَالكِبْرِيَاءِ لله تَعَالَى.

فيه ذلك، أنَّ الله يقول: وعزَّتي وجلالي وعظمتي وكبريائي، في هذا كلِّه إثبات هذه المعاني لله.

الرَّابِعَةُ وَالعِشْرُونَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَرَى رَبَّهُ إِذَا جَاءَ لِلشَّفَاعَةِ كَمَا جَاءَ فِي رِوَايَةٍ: «فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي خَرَرْتُ لَهُ سَاجِدًا»[1].

نَعَمْ، فيجمع الله له بَيْنَ الرؤية وسماع كلامه سبحانه تعالى، وهذا رؤية خاصة، يختصُّ بها وينفرد بها ﷺ .. انتهى الحديث.

الحَدِيثُ التَّاسِعُ: وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[2] **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ**

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد- باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء (٧٥١٠)، ومسلم في كتاب الإيمان- باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٣).

(٢) تقدمت ترجمته.

عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ»[1].

لا إله إلا الله، سبحان الله، هذا واضح، أنَّ هذا الحديث مِنْ أحاديث فضائل الأذكار .. مِنْ أحاديث الأذكار، وأحاديث الأذكار كثيرة، أذكار .. يعني أحاديث الأذكار هي الأحاديث التي يُذْكَرُ فيها الألفاظ التي يُذْكَرُ بها الرب، ويُذْكَرُ فيها مواقيت الذِّكْرِ .. أوقات الذِّكْر في الصباح والمساء، وفي كذا وعند وعند، وفي سائر الأحوال. الأذكار لها أوقات، ولها أمكنة، ولها مواضع، وهذا الحديث منها، فيه ذِكْرُ هذا، يعني هذا النوع مِنَ الذِّكْرِ: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم. والأذكار أيضًا كغيرها تتفاضل، يعني أفضل الأذكار هي كلمة التوحيد لا إله إلّا الله، كما في الحديث: «أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وأعلى شُعَب الإيمان لا إله إلّا الله، وهي مِنْ جُمَل الذِّكْر، هي مِنْ ألفاظ الذِّكْر .. لا إله إلّا الله، وَمِنْ ألفاظ الذِّكْر ما جاء في هذا الحديث: «**سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ**».

قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ مِنْ أَعْظَمِ أَحَادِيثِ فَضَائِلِ الأَعْمَالِ وَأَصَحِّهَا.

فضائل الأعمال وفضائل الأذكار، والأذكار أعمال، الأذكار هي مِنَ القول، والقول عَمَل. مِنْ أحاديث فضائل الأعمال؛ لأنَّ الرسول ذَكَر في هذا الحديث فَضْل هاتين الكلمتين.

وَفِيهِ فَوَائِدُ مِنْهَا: أَوَّلًا: أَنَّ الجُمْلَةَ التَّامَّةَ تُسَمَّى فِي اللُّغَةِ كَلِمَةً، خِلَافَ اصْطِلَاحِ النَّحْوِيِّينَ.

هذا المعنى نبَّه عليه شيخ الإسلام، وهو كلمة .. الكلمة في اللغة العربية ما تعني اللفظ المفرد، لا، يعني الجملة، واستشهد على هذا بآيات في القرآن: ﴿كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾[2]، ﴿تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ﴾[3]، ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾[4]، فهنا ماذا يعني الرسول بقوله: كلمتان؟ يعني جملتين، الأُولى سبحان الله وبحمده، الثانية: سبحان الله العظيم، فهاتان جملتان، فسمَّاهما كلمة، فيجب التنبه، لَكِنَّ النحويين عندهم اصطلاح أنَّ الكلمة إذا قالوا: كلمة. عندهم ثلاثة ألفاظ؛ كلمة وكلام وكَلِمٌ، فيقولون: إنَّ الكلمة هي القول المفرد، مثاله: محمد، زيد،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات- باب فضل التسبيح (٦٤٠٦)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء- باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٢٦٩٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سورة المؤمنون: ١٠٠.

(٣) سورة آل عمران: ٦٤.

(٤) سورة الزخرف: ٢٨.

قام، قعد، هل، بل، هذه عندهم الكلمة .. هي اللفظ المفرد أو القول المفرد. هذه فائدة لُغَوِيَّةٌ، وَيُسْتَفَادُ بها معرفة المعنى الشرعي.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الذِّكْرَ بِاللِّسَانِ أَخَصُّ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ»، وَكَمَالُهُ بِتَوَاطُؤِ اللِّسَانِ وَالقَلْبِ عَلَيْهِ.

إنَّ الذِّكْر باللسان هو أخصُّ أنواع العبادة؛ لأنها ما تُكَلِّفُ شيئا، نائم قاعد قائم وقاعد: ﴿يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾[1]، ما تُكَلِّفُ شيئًا، ولهذا، الرجل الذي جاء يقول: إنَّ شرائع الإسلام قد كثرت عليَّ، فأخبرْني بعمل أتشبَّثُ به، يعني ينفع، قال: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللهِ»، انظروا! يعني إذا الإنسان، لَكِنْ نسأل الله العافية، الغفلة والاشتغال بالفضول!! سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، ما فيه فترة، ولا تحتاج إلى أنْ تقول مِثْل ما يقولون؛ يكتبون .. يعني كَمْ في الدقيقة وكَمْ في الثانية، لا، أبدًا .. سَبِّحْ بدون مراعاة هذه المقادير الزمانية، وأنَّك إذا سبَّحْتَ أنك تحصل على كذا حسنة، اضرب عَشْرَةً .. مائة في عَشْرَةٍ أو مائتين في كذا وتَطْلُعُ لك، لا، أبدًا .. اعمل واترك الكلام الفضوليَّ هذا في تقدير عملك، وما يدريك أنَّ عملك هذا أنه مقبول، يفعل البعض هذا مِنْ منطلق محبة الخير أو شيء مِنْ هذا ، لَكِنْ لا يصيبون .. الحمد لله .. سَبِّحْ، والتسبيح فيه شيء جاء مقدَّرًا ثلاثا وثلاثين بعد الصلاة، هذا جاء مقدَّرًا فيراعَى .. تحسبه، وجاء فيمن قال في يوم كذا، يراعَى هذا العدد .. يمكن أنْ تراعيه، أمَّا بعد ذلك لا تراعي أعدادًا، لا تحسب، كَمْ سَبَّحْتُ اليوم؟ ما شاء الله! سبَّحْتُ خمسمائة مرَّة، الحسنة بعَشْرِ أمثالها، فاضرب هيَّا ..! ، آلة حاسبة!! .. ما شاء الله، أنا اليوم عندي خمسة آلاف حسنة، إذن؛ هذه الحسنات تمحو السيئات التي عندي .. انتهى، كلام فارغ!! يضحكون على أنفسهم!!.

الثَّالِثَةُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّ الكَلِمَ الطَّيِّبَ.

نَعَمْ: (**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ**)، هذا ظاهر .. هذا معروف، (**حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ**)، حبيتبان أيْ محبوبتان، حبيب بمعنى محبوب، حبيبتان إلى الرحمن، فالله يحب الكلم الطيب، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾[2]، يحب الكلم الطيب والعمل الصالح. لكن نحن بمناسبة الكلام الطيب ..

---

(١) سورة آل عمران: ١٩١.

(٢) سورة فاطر: ١٠.

الرَّابِعَةُ: إِثْبَاتُ صِفَةِ المَحَبَّةِ لله.

صفة المحبة ودلائلها لا تُحْصَى في الكتاب والسُّنَّة، أنَّ الله يحب، يحب أوليائه ويحب الأعمال التي أمَر بها والأقوال التي أمَر بها كذلك، الله يحب، يحب المتقين، والمجاهدين، والتوابين، والمتطهرين، ويحب يعني الإيمان والعمل الصالح، ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[1]، وتعلمون: هذه قضايا لها كلام طويل، يعني أهل السُّنَّة والجماعة يُثْبِتُونَ لله المحبة على ما يليق به، كما يكون في مِثْل ذلك مِنْ سائر الصفات، أمَّا الجَهْمِيَّةُ والمعتزلة وكذلك الأشاعرة معهم فينفون حقيقة المحبة، يقولون: إنَّ الله لا يحب ولا يحب، سبحانك هذا بهتان!! ثُمَّ إنْ كانوا ممَّنْ يُثْبِتُونَ الإرادة يفسرونه بالإرادة وإلّا يفسرونه بأشياء مخلوقة، وتَقَدَّم هذا المعنى، تقدَّمتْ له مناسبة.

الخَامِسَةُ: إِثْبَاتُ اسْمَيْهِ الرَّحْمَنِ وَالعَظِيمِ.

وَاضِحٌ، (كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ) وَقَوْلُهُ: (سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ)، فَهَذَانِ الاسْمَانِ مِنْ أسمائه الحسنى الثابتة في الكتاب والسُّنَّة.

السَّادِسَةُ: إِثْبَاتُ المِيزَانِ، وَهُوَ وَزْنُ أَعْمَالِ العَبْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ.

مِنْ عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة الإيمان بالميزان، الميزان الذي يكون يوم القيامة، تُوزَنُ به أعمال العباد، تُوزَنُ به الأعمال، سواء كانت نفس الأعمال تُجَسَّدُ وتكون موزونة، أو تُوزَنُ به صحائف الأعمال، أو كُلُّ ذلك -الله أعلم-، وهنا يقول: (ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ)، لهما ثِقَلٌ، وجاء في حديث أبي مالك الأشْجَعِيِّ[2] يقول: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَالحَمْدُ لله تَمْلَأُ المِيزَانَ، وَسُبْحَانَ الله وَالحَمْدُ لله تَمْلَآنِ -أَوْ: تَمْلَأُ- مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ»[3]، وأحاديث كثيرة في وَزْنِ الأعمال، بل وفي القرآن: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ﴾[4]، وفي القرآن: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾[5]، فهاتان كلمتان ثقيلتان، فثقلهما في الميزان يدل على عظمهما وعظم أجرهما، ولَكِنْ أيضًا لا بُدَّ أنَّ ثقلهما يختلف باختلاف ما

---

(١) سورة الزمر: ٧.

(٢) هو: سعد بن طارق بن أشيم أبو مالك الأشجعي، عداده في أهل الكوفة، يروى عن أبيه وله صحبة، روى عنه شعبة والثوري (الثقات لابن حبان: ٤/ ٢٩٤).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة- باب فضل الوضوء (٢٢٣).

(٤) سورة الأنبياء: ٤٧.

(٥) سورة المؤمنون: ١٠٢.

يَصدُران عنه مِنْ كمال الإيمان والإخلاص، سَهْل: سبحان الله والحمد لله، أو قول: لا إله إلّا الله، لَكِـنْ هنـاك .. يعني مؤثِّرات في ثِقَل العمل، مؤثِّرات: الإيمان، صِدْقُ الإيمان، كمال الإخلاص.

السَّابِعَةُ: أَنَّ لِلأَعْمَالِ ثِقَلًا فِي المِيزَانِ.

واضح: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾، والرسول في هذا الحديث ﷺ نَسَب الثِّقَلَ إلى العمل نفسه .. ثقيل ثقيلتان، جاء في حديث مشهور: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي المِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ»، يعني حُسْنُ الخُلُقِ أيضًا عَمَل، وصَدَر عن إيمان وإخلاص.

قال: وَالمَوْزُونُ إِمَّا الأَعْمَالُ نَفْسُهَا بِجَعْلِهَا أَجْسَامًا، أَوْ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ، أَوْ كِلَاهُمَا.

هكذا والله أعلم، والله على كُلِّ شيء قدير.

الثَّامِنَةُ: تَنْزِيهُ اللهِ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ أَوْ نَقْصٍ أَوْ آفَةٍ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ لَفْظُ سُبْحَانَ.

سبحان، مادة سَبَّحَ، وسبحان هذه تدل على التنزيه، تدل على تنزيه الله عن كُلِّ نقْص وعيب؛ سـبحان الله أنْ يكون له ولد، سبحان الله أنْ يكون له شريك، سبحان الله عن كُلِّ ما يصفه به المشركون .. سبحان، فالتنزيه يكون بأدوات نَفْي: (لَمْ) و(لَا) و(مَا) ... وما أشبه ذلك، ويكون بكلـمات معناهـا هـو النفـي كالتسـبيح، ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ﴾[1]، يسبِّح له من في السماوات والأرض، فالتسبيح معناه التنزيه، والتنزيه معناه نفْـي النقـائص والعيوب، فسبحان في الجملتين فيها تنزيه.

التَّاسِعَةُ: الجَمْعُ فِي الذِّكْرِ بَيْنَ التَّسْبِيحِ والتَّحْمِيدِ، لِقَوْلِهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، أَيْ مَعَ حَمْدِهِ، وَالبَاءُ لِلْمُصَاحَبَةِ، فَهِيَ بِمَعْنَى سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ.

هكذا جاء في السُّنَّة؛ الجمع بيْنَ التسبيح والتحميد، لَكِنْ تارة بجملتين منفصلتين: سبحان الله، والحمد لله، كما في الذِّكْر في أدبار الصلاة، سبحان الله، والحمد لله. وفي هذه الجملة بهذه الصيغة، فيها جَمْع بَيْنَ التنزيه والتحميد، لَكِنْ بجملة واحدة، سبحان الله وبحمده، أيْ مع حمْده، فالباء للمصاحبة، فسبحان الله يعنـي يـؤُول معناهـا إلى سبحان الله والحمد لله.

العَاشِرَةُ: إِثْبَاتُ صِفَاتِ الكَمَالِ لَهُ سُبْحَانَهُ، كَمَا يَتَضَمَّنُهُ لَفْظُ الحَمْدِ.

(١) سورة الإسراء: ٤٤.

إذا قلنا: سبحان تدل على تنزيه الله عن كُلِّ نقْص وعيب، فحمْده كقولك: الحمد لله، يتضمن وصْفه بكُلِّ كمال، بكُلِّ صفة .. بجميع صفات الحمد، بجميع الصفات الحميدة، تتضمن في الجملة سبحان الله وبحمده، تنزيه الله عن كُلِّ نقْص، وإثبات جميع صفات الكمال له.

الحَادِيَةَ عَشَرَ: أَنَّ أَلْفَاظَ الذِّكْرِ أَنْوَاعٌ، وَفِي هَذَا الحَدِيثِ نَوْعَانِ، وَقَدْ جَاءَ فِي فَضْلِ الجُمْلَةِ الأُولَى: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، أَنَّ مَنْ قَالَهَا فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ، فَلَمْ تَرِدْ إِلَّا مَقْرُونَةً بِالجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ كَمَا فِي هَذَا الحَدِيثِ.

كان المناسب: فَلَمْ تَرِدْ إلّا مقرونة بالجملة الأُولى؛ سبحان الله العظيم هي الثانية، كان المناسب أنْ نقول: فَلَمْ تَرِدْ إلّا مقرونة بالجملة الأُولى، يعني في هذا الحديث. سبحان الله العظيم، نعرف مجالها يعني تفضيل أو ذِكْرٌ .. إلّا مقرونة بالجملة الأُولى سبحان الله، جاءت سبحان الله وحدها في الأذكار في أدبار الصلاة .. سبحان الله، لَكِنْ ما فيه سبحان الله العظيم، لا، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلّا الله، والله أكبر، أمَّا سبحان الله العظيم، ثلاث كلمات، فهي لا أذكر أنها وردت إلّا مقرونة بسبحان الله وبحمده، كما هنا، أما الركوع ما فيه سبحان الله العظيم، وإنما سبحان ربي العظيم.

الثَّانِيَةَ عَشَرَ: فَضْلُ هَاتَيْنِ الجُمْلَتَيْنِ وَالتَّرْغِيبُ فِي الإِكْثَارِ مِنْهُمَا. وَهَذَا مِنْ آثَارِ اسْمِهِ الرَّحْمَنِ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ هُوَ السِّرُّ فِي اخْتِيَارِ هَذَا الاسْمِ.

فيه .. يعني ذِكْرُ الحديث .. فيه الترغيب في ذِكْر الله بهاتين الجملتين، **(كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ)** فيه أبْلَغ ترغيب .. سهل: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، يعني في الكلام السابق، لا يعني أنني إذا قُلْتُ: سبحان الله العظيم سبحان الله العظيم، لا بأس، لَكِنْ أتكلم عمَّا ورد في السُّنَّةِ في هذا الشيء، إنما لو سَبَّحْتَ بهذه الصيغة: سبحان الله العظيم سبحان الله العظيم، إلّا في المواضع المعيَّنة، مثلًا في أدبار الصلوات كيف تُسَبِّحُ؟ تقول: سبحان الله العظيم والحمد لله؟ لا، سبحان الله والحمد لله.

الله أعلم، لَمَّا قال: حبيبتان إلى الرحمن، ولَمْ يَقُلْ: حبيبتان إلى الله، أو حبيبتان إلى ربك ... حبيبتان إلى الرحمن.

الثَّالِثَةَ عَشَرَ: تَضَمُّنُ الجُمْلَتَيْنِ لِكَلِمَاتِ الذِّكْرِ الثَّلَاثِ، سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَاسْتِلْزَامُ ذَلِكَ لِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، أقول: إنها تتضمن كلمات الذِّكْر الثلاث؛ سبحان الله والحمد لله والله أكبر. أمَّا سبحان الله فهذه ظاهرة، والحمد لله عرفناها مِنْ قوله: وبحمده، وأمَّا الله أكبر فأنا لاحظتها مِنْ قوله: سبحان الله العظيم، فالعظيم فيه معنى الكبرياء والكبر؛ لأنَّ الله قَرَنَ بيْنَ العليِّ والعظيم، وقَرَنَ بَيْنَ العليِّ والكبير، ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾[1]، وقال: ﴿وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ﴾[2] في آيات كثيرة، فمعنى هذا «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ» تضمنت معنى الكلمات الثلاث، بل وتستلزم الكلمة الرابعة لا إله إلّا الله، يعني مضمون الجملتين يتضمن معنى أو يستلزم معنى لا إله إلّا الله، وَلَكِنْ أَبْلَغ مِنْ هذا أنْ تقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلّا الله، والله أكبر، هذا أَبْلَغ، لَكِنْ سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، خفيفتان على اللسان، أسهل مِنْ قولك .. سبحان الله، وبحمده سبحان الله العظيم، أيسر على اللسان وعلى الإنسان مِنْ أنْ يقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلّا الله، والله أكبر، ولَكِنَّ ذِكْرَ هذه الجمَل الأربع مفصَّلة، هذا أَبْلَغ.

الرَّابِعَةَ عَشَرَ: أَنَّ فَضْلَ العَمَلِ لَا يَخْتَصُّ بِمَا فِيهِ مِنَ المَشَقَّةِ، بل قَدْ يَرْجِعُ إِلَى فَضْلِ عَيْنِ العَمَلِ، فَقَدْ يَكُونُ عَمَلًا لَا مَشَقَّةَ فِيهِ، أَفْضَلُ مِنْ عَمَلٍ فِيهِ مَشَقَّةٌ.

هذا ملاحَظ، يعني قوله: خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، فيه الدلالة على أنَّ فضْل العمل لا يرتبط دائمًا بالمشقة، فقد يكون العمل الخفيف أو الأخفُّ أفضل مِنْ عَمَلٍ آخر فيه مشقة، فالفضل الذي يرجع للمشقة، أجْرُك على قَدْرِ نَصَبِك كما جاء في الحديث، وقد يرجع إلى فضْل عَيْنِ العمل نفسه، العمل هذا له شأن عند الله ومحبة يحبها الله، ولهذا قال في الحديث: (**حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ**).

الخَامِسَةَ عَشَرَ: جَوَازُ السَّجْعِ فِي الكَلَامِ إِذَا خَلَا عَنْ تَكَلُّفٍ.

السجع جاء، (**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ**) لا بأس إذا جاء مِنْ غير تكلُّف، يعني جميل، فيه .. يعني كما يقولون: جرس يستحسنه السامع، كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن.

السَّادِسَةَ عَشَرَ: أَنَّ مِنْ مُحَسِّنَاتِ البَيَانِ التَّشْوِيقَ بِذِكْرِ خَصَائِصِ الشَّيْءِ قَبْلَ ذِكْرِهِ.

---

(١) سورة النساء: ٣٤.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٥، وسورة الشورى: ٤.

هذا مِنَ المحسنات البيانية، أو مِنَ النوع البديع أنْ تَذْكُر مزايا الشيء قبْل ذِكْره للتشويق، ويُسَمَّى بأسلوب التشويق، الآن بعد هذه الجُمَل: (**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ**)، الآن إذا سمعنا هذه الكلمات تتطلع النفوس، ما هاتان الكلمتان اللتان لهما هذا الشأن العظيم؟ سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، هذا هو!! كأنَّ قوله سبحان الله وبحمده، كأنه جاء جواب لسؤال: ما هما؟ يعني بعد هذا الثناء وهذا الوصف، يَرِدُ: ما هما؟ سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

السَّابِعَةَ عَشَرَ: أَنَّ مِنَ الخَبَرِ مَا يَتَضَمَّنُ الطَّلَبَ.

مِنَ الخبر ما يتضمن الطلب؛ يعني الآن صيغة الكلام خبر، ولَكِنْ ليس المقصود مجرَّد الإخبار، المقصود الترغيب في ذلك، فكأنَّ المعنى: فأكثروا منهما، أكثروا منهما .. هذا معقول!! يعني الناس يعرفون مِثْل هذا الأسلوب بفطرهم وأساليبهم وعاداتهم.

الثَّامِنَةَ عَشَرَ: فِقْهُ البُخَارِيِّ فِي الدِّينِ، حَيْثُ افْتَتَحَ الجَامِعَ بِحَدِيثِ النِّيَّاتِ[1] تَنْبِيهًا عَلَى الإِخْلَاصِ، وَخَتَمَهُ بِهَذَا الحَدِيثِ إِشَارَةً إِلَى خَتْمِ الحَيَاةِ بِذِكْرِ اللهِ، وَهَذَا مِنْ بَرَاعَةِ الاسْتِهْلَالِ وَحُسْنِ الخِتَامِ، نَسْأَلُ اللهَ حُسْنَ الخَاتِمَةِ وَاللهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

هكذا نبَّه الشراح، نبَّهوا إلى فقه الإمام البخاري في خواتمه، وممَّا نبَّهوا عليه يعني حُسْن براعة استهلاله في تصديره الجامع الصحيح بحديث النيات الذي هو أصل مِنْ أصول الدين، وختمه بهذا الحديث، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم إلى آخره.

نسأل الله سبحانه وتعالى أنْ يمُنَّ علينا وعليكم بذِكْره وشكْره وحُسْن عبادته، وأنْ يَمُنَّ علينا بالعِلْم النافع والعمل الصالح، ويُحْسِن لنا ولكم الخاتمة، وصلى الله على نبينا محمد.

***

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي- باب بدء الوحي (١)، ومسلم في كتاب الإمارة- باب قوله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ**» (١٩٠٧).

الأَسْئِلَةُ

السُّؤَالُ: هَلِ الشَّفَاعَةُ خَاصَّةٌ بِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ أَمْ بِجَمِيعِ الأُمَمِ؟

الجَوَابُ: لا، ما فيه شيء خاص ، يعني ظاهر الأدلة أنَّ شفاعة نبينا خاصة بأُمَّته، والأمم الأخرى يشفع لهم مِنْ يشفع من الملائكة ومِنَ الأنبياء والصالحين.

السُّؤَالُ: مَا الضَّابِطُ لِتَمْيِيزِ أَسْمَاءِ اللهِ الْمُخْتَصَّةِ بِهِ مِنْ غَيْرِهَا، وَهَلْ فِي عَدِّ ذِكْرِ (الْ) التَّعْرِيفِ أَثَرٌ فِي هَذَا؟

الجَوَابُ: ما أذكر ضابطًا دقيقًا يحيط بكُلِّ ما يقال إنه مِنْ أسماء الله، ما أُحِيطُ، فيه أشياء يتعيَّن .. مختصَّة بالله، وإنْ كان مِنَ العجيب أنَّ الذين عُنَوْا بِعَدِّ الأسماء الحسنى لا يَعُدُّونَهَا، مع أنها .. مِثْلُ خير الناصرين، خير الراحمين، أرحم الراحمين، فيه أشياء تُطْلَقُ على الله وعلى غيره، وفيهِ أشياء هي أشهر في حقه مِثْلُ: اسمه المؤمن أو المَلِكُ أو غيره. لَكِنْ القدُّوس: تجد هذا أَخَصُّ به سبحانه وتعالى، ومِنْ هذا القبيل الخالق البارئ، هو سبحانه وتعالى.

السُّؤَالُ: مَا سَبَبُ غَضَبِ اللهِ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ؟

الجَوَابُ: الله أعلم.

السُّؤَالُ: هَلْ تُسَمَّى كَذَبَاتُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَذْبَةً أَوْ تَوْرِيَةً؟

الجَوَابُ: لا، ما هي كذبات، يعني إخبار بخلاف الواقع، والكذب المذموم الذي حرَّمه الله .. لا، هي تُسَمَّى كذب، ولكنها محمولة على تأويل، حيث قال: هذه أختي، هذه زوجته وأخته في الله، صحيح، لكنه هو وَرَّى.

السُّؤَالُ: كَيْفَ أُعَظِّمُ اللهَ جلَّ جلاله فِي قَلْبِي؟

الجَوَابُ: تعظِّم الله في قلبك!! سَلْ ربك أنْ يجعل الله عظمته في قلبك، ما هي .. يعني أمْر القلب .. ما يتحكم فيه الإنسان، لَكِنْ يأخذ بالأسباب التي يمكن أنْ تزرع الإيمان، تُقَوِّي الإيمان، تزرع الخوف. سَلْ ربك، وخُذْ بالأسباب، تَذَكَّرْ دلائل عظمته، تَفَكَّرْ في مخلوقات الله، تَفَكَّرْ في هذا العَالَمِ. يعني -ولله المثل الأعلى- لو أخذْت ما شاء الله هذا الجوَّال، شُوف المخترَع ذا، أيش تقول فيه؟ والله عجيب، فَكِّرْ والله فَكِّرْ، أليس عَظُمَ في نفسك يعني بهرك؟ هذا هو، كيف تجده في هذا الوجود، ومَنِ الذي أعطاه العقل والفكر، مَنِ الذي خَلَقَ له هذه الوسائل الظاهرة والخفيَّة والعجائب، الله هو المبدع لهذا كله، إذن؛ الله أحق بأنْ ... والبلاء الآن الذي أُصِيبَ به المسلمون أنهم يقفون مع الأسباب ما يتجاوزونها إلى مُسَبِّب الأسباب، إلى خالق الأسباب، عجيب!! يعني الناس .. أكثر

الناس وجُهَّال الناس إذا رأوا هذه المخترعات، يفسِّرونها، بعجيب .. والله عقول، هذا جهْل ، قصـور وتقصـير، وقوف عند الغريب!! لا يا أخي، إذا رأيت هذه الأمور، سبحان الله!! سَبِّحْ يا أخي، قُلْ: سبحان الله الذي خَلَـقَ هذه العقول، وحال بينها وبَيْنَ أسباب فلاحها وسعادتها، وعندما تفكِّر هذا التفكير تحمد ربك، يقول .. عبارة ابن تيمية عن الفلاسفة يقول: أُوتوا ذكاء، وما أُوتوا الذكاء، أذكياء ذكاء خارق هائل جدًّا، ولكنهم محجوبون. العِلْم الجاري الآن لا يجوز أنْ يُسَمَّى نورًا، ما هو بنور، إنه ظلمات، عجيب، هُمْ في ظلمات؛ العِلْم الذي هو نور، هو نور النبوَّة، نور الوحي، نور العِلْم الذي جاء به الأنبياء، هو النور الذي يخرج به الإنسان مِنَ الظلمات إلى النور.

أمَّا هؤلاء لَمْ يخرجوا بعلمهم مِنَ الظلمات إلى النور، بل ازدادوا عمقًا وتماديًا وازدادوا ظلمات؛ لأنهم ازدادوا به كفرًا وجهلًا وطغيانًا وكبرًا وظلمًا.

السُّؤَالُ: هَلْ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ صِفَتَيِ الجَبَّارِ وَالْمُتَكَبِّرِ أَنَّهُمَا صِفَةُ كَمَالٍ لِلْخَالِقِ وَصِفَةُ نَقْصٍ لِلْمَخْلُوقِ؟

الجواب: صحيح؛ لأنَّ فيه معاني لا تليق إلّا بالله، يعني جبَّار في المخلوق، لأن المخلوق عبد ذليل لا يجوز أنْ يكون جبَّارًا متسلطًا وكذا. لَكِنْ فيه جبَّار بمعنى قويٌّ .. يمكن أنْ تمشي، لَكِنْ الغالب أنَّ فيه جبَّـارًا في المخلـوق والقويِّ في الشر. التكبُّر في جانب الله لائق؛ لأنه الكبير، لأنه العظيم الذي لا أعظم منه ولا أكبر منـه ولا أكمـل منه، لَكِنَّ المخلوق الذليل الحقير يتكبَّر؟! يتكبَّر مَنْ؟! يتكبَّر؟ انظر إلى حالك، من أين أتيت؟ أنت طلعت مِنْ فرْج أمك مِنْ بَيْنِ الخبائث، من أين خُلِقْتَ؟ مِنْ ماءٍ مهينٍ، طَيِّبْ فَتِّشْ.

السُّؤَالُ: مَا مَعْنَى التَّخْلِيدُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾[1]؟

الجواب: هذا عند أهل العِلْم المُكْثُ الطويل، وليس المراد التأبيد.

السُّؤَالُ: التَّوَسُّلُ بِالنَّبِيِّ ﷺ جَائِزٌ فِي حَيَاتِهِ، فَلِمَاذَا لَا يَجُوزُ بَعْدَ مَوْتِهِ؟

الجَوَابُ: هذا جهل مِنَ السائل؛ ما هذا الكلام؟ حيٌّ قادر، يأتي الصحابة ويقـول: ادْعُ الله لي. الرسـول الآن حيٌّ ولَّا مَيِّتٌ؟ مَيِّتٌ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾[2]، لَكِنْ له حياة برزخية، الله أعلم بكيفيَّتها، لكنه مَيِّتٌ، الصحابة يعني ضلُّوا لَـمَّا راحوا يقولوا للعباس استَسْقِ لنا، ويتركون الرسول، لا يروحون للرسـول يقولـون: اسْتَسْـقِ لنـا؟ مـا هـذا

(١) سورة النساء: ٩٣.

(٢) سورة الزمر: ٣٠.

الكلام؟! لماذا .. يعني حياة الرسول و موته سواء الآن؟ هو لا يدري بأُمَّته الآن.

السُّؤَالُ: هَلْ الأَنْبِيَاءُ يَسْأَلُونَ اللهَ الشَّفَاعَةَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ؟

الجَوَابُ: لا أحد يشفع عنده إلّا بإذنه.

السُّؤَالُ: فِي الحُضُورِ كَثِيرٌ مِمَّنْ هُمْ فِي حَلَقَاتِ القُرْآنِ، فَنَأْمُلُ تَوْجِيهَاتٍ أَبَوِيَّةً لِأَبْنَائِكَ؟

الجَوَابُ: نقول، أعانهم الله وبارك فيهم، وهذا مِنْ توفيق الله لهم الانضمام لحلقات التحفيظ، هذا مِنْ توفيق الله لهم، ومِنْ حَظِّ والديهم، ونسأل الله أنْ يجعلهم قُرَّة عينٍ لوالديهم وللأُمَّة، وأُوصِي الذين ينضمون لهذه الحِلَقِ أنْ يحافظوا على مكاسبهم مِنْ حِفْظ القرآن، ولا يقعون فيما وقع فيه الأكثرون مِنْ أنهم يحفظون ويحفظون، فإذا انخرطوا في الدراسات النظاميَّة أضاعوا ما اكتسبوه في هذه الحِلَقِ.

السُّؤَالُ: كَيْفَ يَتْرُكُ طَالِبُ العِلْمِ الخُمُولَ وَالكَسَلَ فِي طَرِيقِ الطَّلَبِ، وَهَلْ مِنْ كُتُبٍ تَنْصَحُونَ بِهَا فِي العَقِيدَةِ؟

الجَوَابُ: والله ما يترك الخمول .. يستعن بالله .. الخمول والكسل مِنْ طبيعة الإنسان، لَكِنْ عليه أنْ يتذكر فضْل القوة، ﴿خُذِ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾[1]، كُلُّ العبادات تحتاج إلى قوَّة: الصلاة، الله المستعان، مِنَ الناس مَنْ يصلِّي بقوَّة بنشاط بإقبال بكذا، ومِنَ الناس مَنْ يصلِّي بفتور، انظر إلى الناس الآن، واحد يأتي إلى المسجد مِنْ أول ما يؤذن، ويقرأ ويجلس ويستفيد، واحد آخر وآخر وآخر، واحد إذا أقيمت الصلاة وشرَع الإمام في الصلاة، وكادت الركعة الأُولى تنتهي، يكفيه يدرك الركوع، هذه عناوين؛ لأنَّ المحرِّك اللي عنده ضعيف.

السُّؤَالُ: كُتُبٌ مُعَيَّنَةٌ تَنْصَحُونَ بِهَا فِي العَقِيدَةِ؟

الجَوَابُ: كُتُبُ العقيدة معروفة وتعرفونها أنتم الآن، مِثْل كتاب التوحيد والعقيدة الواسطيَّة، هما أهَمُّ ما أُوصِي به ... والله أعلم.

***

(١) سورة مريم: ١٢.